



السَّيِّحُ
مَحْمُودُ عَبْدِ الْحَلِيمِ
سَيِّرَةُ لَنْ تَمُوتَ

طَارِقُ عَبْدِ الْكَرِيمِ مَحْمُودُ

الشيخ

محمود عبدالحليم

سيرة لن تموت

طارق عبد الكريم محمود

٩٥٦,٤٠٠٩٢٤

ط ا ر طارق عبدالكريم محمود

الشيخ محمود عبدالحليم سيرة لن تموت / تأليف

طارق عبدالكريم محمود

البيرة - مطبعة الحدث ٢٠٢٦

٢٦٩ صفحة

١- محمود عبد الحليم ١٨٣٥ - ١٩١٩

٢- الشيخ محمود عبدالحليم سيرة لن تموت

٣- رجال دين - فلسطين

تم التصنيف بمعرفة مكتبة بلدية نابلس العامة

الطبعة الأولى

٢٠٢٦

صف ومونتاج: أدهم حنون

جميع الحقوق محفوظة

مطبعة الحدث / البيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

- إلى بلدي عنبتا أهلاً وأرضاً وتاريخاً وتراثاً.
- إلى بنات وأبناء عشيرة الفقهاء الذين يرون في جدهم الشيخ محمود رمزاً من رموز عنبتا المضيئة.

- إلى كل من يعرف حق الآباء على الأبناء.
- إلى كل من يعرف حق الأجداد على الأحفاد.

طارق عبد الكريم محمود

عنبتا

٢٠٢٦/١/١

المقدمة

صحوتُ على هذه الدنيا وأنا أسمع من كلٍّ من
تعايشتُ معهم أنّ جدي لأبي (الشيخ محمود
عبدالحليم) كان شاعراً، وكان شيخاً أزهرياً، وتقلّد
مناصب في التعليم والإمامة والخطابة والافتاء
والقضاء. فكيف أقتنع بهذا وأنا لا أعرف بيتاً واحداً من
قصائده؟ ولا أعرف إلا القليل القليل عن حياته؟

ظلّ هذا الأمر يشغلني ويلاحقني إلى أن وصلتُ إلى
المرحلة الثانوية، فبدأتُ أبحث عن سيرة حياته وعن
قصائده، وأدوّن كل ما أحصل عليه من معلومات،
وطالت رحلة البحث، ومع الأيام صار بين يديّ مجموعة
من المعلومات والقصائد التي تستحقّ أن تُنشر،
فشددتُ الهمة وعقدتُ العزم لإصدارها في كتاب لعلها
تُلقي بعض الضوء على شخصيته الإنسانية والدينية
والاجتماعية والوظيفية، وهنا أتساءل: هل هناك في

الدنيا أناس ملزمون بالوفاء للآباء أكثر من الأبناء؟ وإن
لم يكن الأبناء فليكن الأحفاد.

وجئتُ أنا الحفيد لأقول: ما أجمل أن أكتب عن
جدي لوالدي ووالد عمي الشاعر الفلسطيني عبد
الرحيم محمود! وما أوفر حظي إذا نجحتُ في الكتابة
عنه! فقد باعد الزمن بين عمرينا، فجدي من مواليد
١٨٣٥ ميلادي، وأنا من مواليد ١٩٤٢ ميلادي، وقد
توفي سنة ١٩١٩، ويكون بذلك قد مضى على وفاته مئة
وسبعة أعوام عند إصدار هذا الكتاب.

فهل أستطيع أمام هذه المعطيات أن أجمع ما ضاع
في ضباب السنين وزقاق الأيام؟

أعترف بأنني أتيت متأخراً، ولكن أن أتى متأخراً خيرٌ
من أن لا أتى، وقلت لنفسي عسى أن ينطبق علي قول
الشاعر أبي العلاء المعري:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل
إنّ هذا الكتاب سيجد فيه المتسائلون أجوبة كثيرة
عن تساؤلاتهم، وأُخَصَّ بالذكر هؤلاء الباحثين في حياة
الشاعر عبد الرحيم محمود الذين يسعون لمعرفة سرّ
شاعريّته، وهل الوراثة لعبت دورًا في هذه الشاعرية؟

وما يقال عن الشيخ محمود يقال عن العشرات
من الشعراء والمشايع الذين عاشوا إبّان الحكم التركي،
فهم جميعًا لم يُؤرَخ لهم، ولم يُشار لهم، فقد أغفلتهم
كتب التاريخ.

إنني بهذا العمل قبلت لنفسي أن أدخل في أعماق
منجم خاوٍ مهمل مهجور، فخرجت منه محملاً بكنوزٍ
ثمينة، كانت تلك الكنوز تعيش في سباتٍ عميق،
فانتشلتها وأنقذتها من الضياع والنسيان، ونقلتها من
بيئة منسية إلى بيئة حاضرة نظيفة نقية تشعُّ بالنور،
وأودعتها في هذا الكتاب.

إنني أشعر بالسعادة عندما أكون واحداً من الذين
يحترمون آباءهم وأجدادهم، ويرتبطون بجذورهم،
ويقدرّون تاريخهم الإنساني والوطني والإجتماعي الذي
صنعه أولئك المنسيون الذين لم تصل إليهم أضواء
الشهرة.

إنّ جدي الشيخ محمود لم يمرّ على مسرح الحياة
مروراً عابراً، بل مرّ وهو يعتزّ بما قدّم، وترك بصمات
جميلة في كل ميادين الحياة. ورغم تقادم السنين، ورغم
الصعوبات والمعوقات، آليتُ على نفسي، وقررتُ بلا
تراجع أن أجمع ما تيسر لي من سيرة حياته تقديراً
لروحته الإنسانية ووفاء لذكراه، في زمن عزّ فيه الوفاء،
واخترت عنواناً لكتابي:

(الشيخ محمود عبدالحليم سيرة لن تموت).

لقد مات جدي ومات علمه معه، لأنّه لم يسجل في
قرطاس، ولم تحفظه الكتب، ولأنّ أجياله الذين

عاصروه ماتوا دون أن نستفيد منهم، وهكذا نسي الناس الشيخ محمود، وكم من رجال عظماء قدّموا وخدموا فأهملنا ذكرهم، وطمسنا أثرهم، ونسينا أسماءهم، وما أدركنا أن نشر سيرهم هو بمثابة إضاءة مشاعل للأجيال لتتعلم منهم وتقتدي بهم.

لو وجد الشيخ محمود أحداً قام بتدوين سيرة حياته أثناء وجوده لذاع اسمه وانتشر في كل مكان، ولكن مع الأسف هو واحد من مئات الرجال الأفذاذ الذين يستحقون أن يُخلّدوا، ولكن لم يجدوا من يخلدهم، ويكفي أن الله يعرفهم ويرحمهم ويجزيهم على أعمالهم، ويخلدهم في أعلى عليين.

وأرى في نهاية مقدمتي أن أؤكد على القناعات

الآتية:

أولاً: إني وأنا حامل قلم، يجب أن أكتب عن سيرة
جدي الشيخ محمود.

ثانياً: إني وأنا صاحب رسالة، عليّ أن أنصف هذا
الشيخ الجليل.

ثالثاً: إني وأنا حفيده، علي مسؤولية الحفاظ على
سيرة حياته.

رابعاً: إني وأنا حامل مشعل، عليّ أن أسير حاملاً
مشعلي لأصل به إلى كل حفيد من أحفاده، لأعرفه
بجدّه الذي كان في يوم من الأيام علماً من أعلام منطقة
بني صعب، في فترة زمنية كان فيها الظلام فارداً جناحيه
على جميع أرجاء العالم العربي.

وأخيراً، أخاطب جدي فأقول: أستمطر عليك
شأبيب الرحمة والمغفرة أيها الجد الشيخ والمعلم

والشاعر واللغوي والمفتي والقاضي، وإلى لقاء في جنّة
رضوانٍ نجلسُ معاً على أريكة الفردوس، ونُسقى من
رحيق مختوم.

طارق عبد الكريم محمود

عنبتا

٢٠٢٦ / ١ / ١

نسب الشيخ محمود

هو الشيخ محمود بن الشيخ عبد الحليم (الثاني)
بن الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الحليم (الأول) بن
الشيخ محمد بن الشيخ عمر بن الشيخ عبد الإله.

ولد في عنبتا في محافظة طولكرم بفلسطين عام
١٨٣٥ ميلادية، والده عبد الحليم شيخ من مشايخ
عصره، درس العلوم الشرعية في صالحية دمشق. ومن
الملاحظ من تسلسل النسب أن الشيخ محمود ينتمي
لعائلة عرفت بالمشيخة، وهذا يدل على حمها للدين
والشعر والأدب، لذلك كثرت فيها العمام، وهذا
ينسجم تماما مع تسمية العائلة الصغيرة بآل
عبد الحليم، والعشيرة الكبيرة بعشيرة الفقهاء.

و الفقهاء مجموعة من رجال الدين الإسلامي
خرجت من بلاد الحجاز، وانتشرت في بعض مناطق

فلسطين وبعض الدول العربية، كانت مهمتها تبصير
الناس بأمور الدين الإسلامي، فكان لهم إحترامٌ في كل
مكان، واستقر كل منهم في المكان الذي أراد، وتزوج
وأنجب، وكوّن مع الزمن عشيرةً كبيرة.

ولذا تتواجد عائلة الفقهاء في عنبتا وكفر اللبد
وطولكرم وشويكة ودير شرف وطمون وطوباس
وسنجل وتياسير وعين البيضاء ويعبد وعراة وسيريس
والعطارة، كما أنها توجد في مدينة تبوك في المملكة
العربية السعودية، وكذلك تتواجد في منطقة البلقاء
الأردنية، والمعروف أن قبيلة المهيرات في الأردن هي من
الفقهاء.

وتقول بعض المصادر^(١) إن الفقهاء أحد أفخاذ بني
قضاعة إحدى القبائل العربية المعروفة في بلاد

(١) الأنساب العربية مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠١ تأليف

الحجاز، وأصولها من اليمن، ويسكن الفقهاء اليوم في
تهامة الحجاز امتداداً إلى تهامة عسير في المملكة العربية
السعودية..

وتقول كتب التاريخ إن مجموعة من القبائل تنسب
لقضاة، ومنها قبيلة المهرة التي تنتسب إليها قبيلة
المهيرات الاردنيه، والمتعارف عليها باسم (إفقهة) .

عائلة الفقهاء مشتل مشايخ

عند استعراض العدد الكبير من أسماء المشايخ في
عنبتا يتبين أنّ عائلة الفقهاء هي التي استحوذت على
أكبر عدد من المشايخ، ولذا سمحت لنفسني أن أطلق
عليها اسم (عائلة الفقهاء – مشتل مشايخ)، وهذا ما
ورد في سجلات المحاكم الشرعية العثمانية، في نابلس
وطولكرم، ووثقها السيد بهاء محمد نصار في كتابه
(عنبتا في العصرين المملوكي والعثماني).

وفيما يلي أسماء مشايخ عائلة الفقهاء:

- الشيخ عبد الحلیم (الأول)
- الشيخ عبد الله بن عبد الحلیم
- الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الحلیم
- الشيخ جابر بن عبد الله بن عبد الحلیم

- الشيخ أحمد بن الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الحليم
- الشيخ عبد القادر بن الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الحليم
- الشيخ عبد الحليم (الثاني) بن عبد الله بن عبد الحليم
- الشيخ محمود بن عبد الحليم مولده سنة ١٨٣٥ ميلادي
- الشيخ عارف بن محمود عبد الحليم مولده ١٨٧٠ ميلادي
- الشيخ حمزة بن محمود عبد الحليم مولده ١٨٨٧ ميلادي
- الشيخ توفيق بن محمود عبد الحليم مولده ١٨٩٢ ميلادي
- الشيخ رفيق بن محمود عبد الحليم مولده ١٨٩٨ ميلادي

دراسة الشيخ محمود

نشأ الشيخ محمود ذكياً فطناً، تعلّم في الكتّاب على يد والده الشيخ عبد الحليم (الثاني) الذي كان معلماً في كتّاب قرية عنبتا بعد أن عاد من صالحية دمشق، إضافة إلى تعليم والده له تعليماً خاصاً في البيت.

كان الشيخ محمود يحفظ نصف القرآن الكريم وهو ابن الثانية عشرة من عمره، ويتقن القراءة والكتابة والإملاء إتقاناً جيداً، وهذا شجع والده عام ١٨٤٩ على إرساله إلى جامع البيك في مدينة نابلس من أجل أن يواصل تعليمه الديني، فدرس ثلاثة أعوام، وكان متفوقاً حسب رأي معلميه المشايخ، ولم يتوقف الشيخ عبد الحليم عند هذا الحد، فقد أرسل ابنه إلى الجامع الأزهر عام ١٨٥٣ على أمل أن يصبح ابنه عالماً من علماء الإسلام، وشيخاً من شيوخه الأفاضل. فقد تلقى علمه في الأزهر على يد جماعة من كبار العلماء،

وأثناء دراسته في الجامع الأزهر أكمل حفظ النصف الآخر من القرآن الكريم، ونظم القصائد الكثيرة. وقد لعبت رهافة حسه وذاكرته اللاقطة في استيعاب كل ما هو أمامه من علوم لغوية وأدبية ودينية وتاريخية.

عاد من الأزهر عام ١٨٥٩ وعمره أربعة وعشرون عاماً بعد أن أمضى هناك ستة أعوام، يحمل شهادة العالمية (بكسر اللام)، وتعني العالمية أن من يحمل هذه الشهادة هو عالم بأمور الدين الإسلامي.

الكتاتيب في عنبتا

لم يكن في زمن الدولة التركية مدارس، لأن الدولة التركية كانت تعتبر التعليم ليس من مسؤوليتها، وإنما من مسؤولية الأهالي، ولذلك لم تقم بإنشائها، ولم تعط التعليم أي اهتمام، ومن هنا تحركت الغيرة على الأجيال، ونشطت المسؤولية، وانبثق الوعي عند الناس المتنورين في القرى والمدن، فصار في معظم القرى والمدن مراكز تعليمية أطلق عليها اسم الكتاتيب، وقامت بعض المدارس البسيطة في المدن، وكان الهدف تخريج جيل من الأولاد قادر على القراءة والكتابة، وعارف لبعض الأمور الدينية، وبذلك يكون الجيل قد تحرر من الأمية.

والكتاتيب مفردها كَتَّاب، والكتاب هو مكان يضم مجموعة من الأولاد، يأتون إليه ليتعلموا على يد شيخ متمرس، وكان التعليم يقتصر على القراءة والكتابة

والإملاء والخط وحفظ القرآن الكريم والتعاليم الدينية، وشيء من سير الأنبياء والصالحين، والحساب الذي كان يُطلق عليه اسم الهندي، لأن الأرقام التي نستعملها هي في الأصل أرقام هندية، بينما التي نستعملها بالإنجليزية هي الأرقام العربية التي ابتكرها العالم العربي الخوارزمي.

وقد حرصت عنبتا على إيجاد الكتاتيب لتعليم أبنائهم منذ أكثر من أربعمئة سنة، وكان للكتاتيب حضور قوي في المجتمع العنبتاوي بعد سنة ١٨٥٠م، فقد كثر الأولاد الراغبون في التعلم من مختلف الأعمار، وكثر المشايخ القادرون على التعليم.

ومن أشهر معلمي الكتاتيب في عنبتا ما بين عام (١٨٥٠-١٩١٠) الشيخ محمود عبد الحليم، والشيخ إسماعيل عبدالله، والشيخ محمد أسعد عورتاني، والشيخ إبراهيم السعدي، والشيخ عارف محمود عبد

الحليم، والشيخ محمد جاد الله، والشيخ قاسم
كنعان، والشيخ يعقوب عرفات القبيج، والشيخ
عبدالقادر عبد الحليم.

وثقافة جميع هؤلاء المشايخ ثقافة دينية،
اكتسبوها من تعلمهم في مسجد البيك في مدينة
نابلس، هذا المسجد الذي أهلهم ليكونوا أئمة وخطباء
في المساجد، وليقوموا بالتعليم في الكتاتيب، عدا
الشيخ محمود عبد الحليم الذي كان من خريجي الأزهر.

تعددت مراكز الكتاتيب في عنبتا، فكانت في
المسجد القديم، والمزار، والمضافة في حارة دار ملحمة،
والبيت شاويش (غرفة ملاصفه لدار عبد الرحمن
بركات هُدمت فيما بعد)، وغرفة مكان دار جابر
العموري القديمة (قرب الكازية).

وكما نلاحظ فإن الأماكن التي اتخذت كمراكز
للتعليم هي أماكن عامة، فلا يدعو الأمر لدفع أجرة

للمكان، وبنفس الوقت لم يكن أماكن للإيجار بسبب ضيق المساكن في عنتبا، وكان المعلم يجلس أمام الأولاد على مقعد أعلى من مستوى جلسة الأولاد الأرضية، ومعه عصا طولها متران، ويجلس الأولاد أمامه على حصير مفروش على الأرض. ويعتمد التعليم على الشرح الشفوي والتسميع الشفوي، والقراءة والكتابه وحسن الخط، وإن أخطأ الولد، أو لم يحفظ، أو شاغب، فهو المعلم عليه بالعصا الطويلة عقاباً له، أو يحبسه في الطابون المجاور.

أما الأجرة التي كان يتقاضاها معلم الكتاتيب من الأولاد، فهي بعض البارات أو المجيديات (عملة تركية) أو شيء من القمح أو الخبز أو البيض أو الجبن أو الخضار حسب موسمها، وهذا دليل على فقر الناس في ذلك الوقت، وقلة المال في أيديهم.

وقد ذكر جدي لأمي إبراهيم جابر رحمه الله (من مواليد عام ١٨٩٠) أنه تعلم في مدرسة المسجد على يد الشيخ محمود عبد الحلیم والشيخ إسماعیل عبد الله. كذلك ذكر صهري والد زوجتي المرحوم الشيخ عبد الله حنون (من مواليد ١٨٩٥) أنه تعلم في مدرسة المسجد على يد المرحوم الشيخ عارف محمود عبد الحلیم، و يد المرحوم الشيخ محمد أسعد عورتاني. أما عمي المرحوم الشيخ رفيق (من مواليد ١٨٩٨) فقد تعلم في المسجد القديم على يد شقيقه المرحوم عارف محمود عبد الحلیم وید الشيخ محمد أسعد عورتاني وید الشيخ قاسم كنعان.

وقد جاء في الأرشيف العثماني في اسطنبول وثيقة تبين أن عنبتا تأسست فيها مدرسة ابتدائية حكومية سنة ١٨٨٤ ميلادي والمعلم هو الشيخ إسماعیل

عبدالله ومعه معلمان آخران، وبلغ عدد تلاميذها تسعين تلميذا.

وكذلك ورد في كتاب (عنبتا في العصر المملوكي والعثماني) لمؤلفه بهاء نصار: رفدت مدرسة عنبتا بمعونات حكوميه، ففي اليوم الخامس عشر من أيلول عام ١٨٨٦ ميلادي، أورد مراسل جريدة لسان الحال البيروتيه أن (فخري بك نامي) متصرف لواء البلقاء قد عرج في طريقه إلى نابلس على قرية عنبتا، وقد استراح فيها قليلاً، وتناول طعام الغداء، ثم أمر بصرف عشر ليرات لمدرسة القرية.

ولكن هذه المدرسه ليست مدرسة بمفهومها العصري، وإنما هي كتاب راقٍ ومعتز به، ومكان هذه المدرسه هو المسجد القديم، والتعليم فيها من الصف الأول إلى الصف الرابع، ثم انتقلت المدرسة من المسجد

القديم إلى المضافة^(١)، وفي سنة ١٩٢١ انتقلت من
المضافة إلى أول مدرسة ابتدائية حكومية بمفهومها
العصري تقام في عنبتا، والتي عُرفت بصالونها الكبير
وخمس غرف حوله.

(١) ذكر لي والدي رحمه الله (من مواليد ١٩١٠) أنه درس الصف الأول في
المسجد القديم، وكان معلمه شقيقه الأكبر الشيخ عارف محمود عبد
الحليم، ثم درس الصف الثاني والثالث في المضافة، وكان معلمه شقيقه
الشيخ عارف والشيخ محمد أسعد عورتاني، أما الصف الرابع فقد درسه في
المدرسة الحكومية التي هي أول مدرسة تقام في عنبتا عام ١٩٢١، ثم واصل
تعليمه في طولكرم.

الشيخ محمود معلماً

تخرج الشيخ محمود في الجامع الأزهر عام ١٨٥٩ وعمره أربعة وعشرون عاماً حاصلاً على شهادة العالمية (بكسر اللام) وتعني العالمية أن حامل هذه الشهادة هو عالم بالدين الإسلامي، ولم يجد الشيخ وقتها وظيفة تليق به شأنه شأن الكثيرين من المشايخ الذين تخرجوا في الأزهر، وذلك لأن الحكومة التركية لا تتيح للعرب أن يتسلموا وظائف حكومية، فالوظائف الحكومية مقصورة على الأتراك، فعمل معلماً في كتاب عنبتا الكائن في المسجد القديم مدة سبعة عشر عاماً.

وكان معلم الكتاب في ذلك الوقت هو البطل في المجتمع الفلسطيني، لأنه حسب رأي الناس هو صاحب العلم والمعرفة في كل أمور الدنيا، لذلك كان الشيخ محمود ذا منزلة عالية، ويشار له بالبنان، لأن الناس حوله كلهم أميون.

كان الشيخ محمود الشاب معلماً مميزاً، أحبه الأولاء وأقبلوا على التعلم برضى ورغبة وحماس، فأنشأ جيلاً يتقن القراءة والكتابة والحساب، ويحفظ عدداً من سور القرآن الكريم، ويلم بمعلومات كثيرة عن سير الرسل والصحابة، ويتقن أداء جميع الصلوات، ويحفظ الأناشيد.

تحمس الأهالي من أجل تعليم أولادهم على يد الشيخ محمود القادم من الأزهر الشريف، فهبوا لتسجيل أبنائهم للالتحاق بدروس الشيخ محمود التي يعطيها في المسجد القديم. كان الأولاد يأتون إلى حلقة الدرس قبل موعدھا لكي يحتلوا مكاناً متقدماً من الشيخ، فكانوا يجلسون على الحصير بكل انتباه واهتمام، وهذه وصية الآباء والأمهات لهم أن يذهبوا مبكرين كي يكونوا في أماكن متقدمة، وأن يصغوا إصغاءً تاماً لما يقوله معلمهم.

وعُرف عن الشيخ محمود أنه لم يحمل عصا كما حملها معلمو الكتاتيب في كل مكان، بل كان يعتمد على الكلمة الحلوة والنصيحة الناعمة، والجميل الجميل ان الشيخ محمود الحافظ لقصيدة الأصمعي المشهورة (صوت صفيـر البـلبـل) قام بتحفيظها لطلابه، فحفظوها غيباً، وصاروا ينشدونها ويرددونها أمام الأهل وفي الحارات والطرق، وفي المجالس والسهرات، فيعجب الأهالي بأولادهم الحافظين هذه القصيدة التي تتميز بصعوبة الفاظها وغرابة كلماتها، وتعقيد تراكيبها التي تجعل حفظها صعباً، والمستمع أو القارئ لها يعجز عن فهم معانيها، لكنه يطرب لسماعها لما فيها من نغمة جميلة في أبياتها. كما أن هؤلاء الطلاب أثاروا التفات الناس المارين في الحارات وهم يرددونها فيعجبون ويتساءلون، فيكون الجواب: إنهم تلاميذ الشيخ محمود، فتزداد ثقة الأهالي ويسارعون في إرسال ابنائهم الى كتّاب الشيخ محمود.

صوت صفيـر البـلبـل

صَوْتُ صَفِيرِ الْبُلْبُلِ

هَيَّجَ قَلْبِي الثَّمَلِ

الْمَاءُ وَالزَّهْرُ مَعاً

مَعَ زَهْرٍ لَحْظِ الْمُقْلِ

وَأَنْتَ يَا سَيِّدَ لِي

وَسَيِّدِي وَمَوْلَى لِي

فَكَمْ فَكَمْ تَيَّمَنِي

غُزِيلٌ عَقِيقَلِ

قَطَفْتُهُ مِنْ وَجَنَةِ

مِنْ لَثَمِ وَرْدِ الْخَجَلِ

فَقَالَ لَا لَا لَا لَا لَا

وَقَدْ غَدَا مُهْرُولٍ

وَالْخُودُ مَالَتْ طَرَبًا

مِنْ فِعْلِ هَذَا الرَّجُلِ

فَوَلَوْتُ وَلَوْلَا

وَلِي وَلِي يَا وَيْلَ لِي

فَقُلْتُ لَا تُولُولِي

وَبَيْنِي الْوُلُوءُ لِي

قَالَتْ لَهُ حِينَ كَذَا

إِنْهَضْ وَجُدْ بِالنَّقْلِ

وَفَتِيَّةٌ سَقُونِي

قَهْوَةً كَالْعَسَلِ لِي

شَمَمْتُهَا بِأَنْفِي

أَزْكَى مِنْ الْقَرْنَفُلِ

فِي وَسْطِ بُسْتَانٍ حُلِيِّ

بِالزَّهْرِ وَالسُّرُورِ لِي

وَالْعُودُ دَنْدَنَ دَنَا لِي

وَالطَّبْلُ طَبَّطَبَ طَبَّ لِي

طَبَّ طَبَّطَبَ طَبَّ طَبَّطَبَ

طَبَّ طَبَّطَبَ طَبَّطَبَ لِي

وَالسَّقْفُ سَقْ سَقْ سَقْ لِي

وَالرَّقْصُ قَدْ طَابَ لِي

شَوَى شَوَى وَشَاهَشُ

عَلَى وَرَقِ سُفْرَجَلٍ

وَعَرْدَ الْقَمَرِي يَصِيحُ

مَلَلٍ فِي مَلَلٍ

وَلَوْ تَرَانِي رَاكِبًا

عَلَى حِمَارٍ أَهْزَلِ

يَمْشِي عَلَى ثَلَاثَةِ

كَمْشِيَةِ الْعَرَنْجَلِ

وَالنَّاسِ تَرْجَمَ جَمَلِي

فِي السُّوقِ بِالْقُلُقُلِ

وَالْكُلُّ كَعَكَعَ كَعَكَعَ

خَلْفِي وَمِنْ حَوْلِي

لَكِنْ مَشَيْتُ هَارِباً

مِنْ خَشْيَةِ الْعَقَنْقَلِ

إِلَى لِقَاءِ مَلِكٍ

مُعْظَمٍ مُبْجَلٍ

يَأْمُرُ لِي بِخَلْعَةٍ

حَمْرَاءَ كَالْدَمِ دَمَلِي

أَجْرُهَا مَا شِئاً
مُبْعِدَاً لِلذَّيْلِ
أَنَا الْأَدِيبُ الْأَمْعَى
مِنْ حَيِّ أَرْضِ الْمُوَصِّلِ
نَظَمْتُ قِطْعاً زُخْرِفَتْ
يَعْجُزُ عَنْهَا الْأَدَبُ لِي
أَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا
صَوْتُ صَفِيرِ الْبُلْبُلِ

وبعد ان تسلّم السلطان عبد الحميد الثاني الحكم عام ١٨٧٦ بدأ بتطبيق الدستور، وهو القانون الأساسي للدولة، ويشتمل على إصلاحات كثيرة، وعلى رأسها حرية التعليم، فاستبشر الناس خيراً، وبدأت المدارس تنتشر في المدن والقرى، ولكن ليس بمفهومها

العصري، وقد أطلق على كل مدرسة اسم المكتب،
وعُمِّمَ هذا الاسم في سائر أنحاء الوطن العربي.

وفي ذلك يقول أمر الشعراء أحمد شوقي واصفاً
أيام المدرسة^(١):

ألا حبّذا صحبةُ المكتبِ

فأحبُّ بأيامه أحبُّ

ويا حبّذا صبية يمرحون

عنان الحياة عليهم صبي

عصافير عند تهجي الدروس

مِهَارٌ عرابيد في الملعب

لهم جرسٌ مطربٌ في السّراح

وليس إذا جدّ بالمطرب

(١) ديوان احمد شوقي الجزء الثاني صفحة ١٤٧

وقال الشاعر عبدالرحيم محمود ابن العشرين
عاماً عند زيارته لمدرسة عنبتا محيياً المعلمين ومدير
المدرسه راتب الشامي^(١):

حُيِّتُمْ يا أهل هذا المكتبِ
السائرين على السراط الطيبِ
الفتاحين قلوبكم بمحبةٍ
فكأنكم للنشءِ أشباه الأبِ
قد قال شوقي فيكم يا إخوتي
إن المعلم شأنه شأن النبي
يا راتباً قاد المسيرة ناشطاً
أنت الجدير بشغل هذا المنصب
دم للمدارس رائداً ومعلماً
في الصف في الساحات أو في الملعب

(١) عبد الرحيم محمود شاهد ومشهود صفحة ٤٣ تأليف طارق عبد الكريم

وفي عنبتا افتتح أول مكتب في العهد العثماني عام ١٨٨٤ ميلادي، ومقره المسجد القديم، والمعلم المسؤول الشيخ إسماعيل عبدالله، وفي نفس الوقت افتتح مكتب في قرية الطيرة قرب طولكرم، وعمل فيه الشيخ محمود معلماً لعام واحد فقط، ثم وقع عليه الاختيار بتزكية من زملائه وأصدقائه أبناء مدينة نابلس الذين تخرجوا معه في الأزهر الشريف ليكون معلماً في المدرسة الدينية الكائنة في جامع البيك في مدينة نابلس، وعمل فيها معلماً لمدة ثلاث سنوات من عام (١٨٨٥-١٨٨٨)، ومن هنا جاءت علاقته القوية بمشايع المدينة.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ العلامة الشاعر أحمد البسطامي (١٨٧٢-١٩٤٥) كان أحد تلاميذه

النجباء^(١)، حيث واصل تعليمه في دمشق، ونال سمعة دينية وأدبية واجتماعية في مدينة نابلس، وأصبح فيما بعد من أهم جلساء الشيخ محمود لدى زيارته لمدينة نابلس، وصادف أن يكون من أبناء عنبتا في نفس المدرسة وفي صف الشيخ البسطامي كل من الشيخ عارف ابن الشيخ محمود والشيخ محمد أسعد عورتاني. وبعد أن خدم ثلاثة أعوام في نابلس عاد معلماً في مكتب عنبتا إلى نهاية عام ١٨٩٧، ولم يتعارض هذا مع كونه إماماً وخطيباً ومأذوناً.

(١) عدة مقابلات مع الشيخ محمد البسطامي ابن الشيخ احمد البسطامي صيف ١٩٨٤، وقد أطلعني على وثائق تبين علاقة الشيخ محمود بوالده الشيخ أحمد، وعلاقته هو بالشاعر عبد الرحم محمود. انظر عبد الرحيم محمود شاهد ومشهود/ طارق عبدالكريم محمود/ صفحه ١٦٠

الشيخ محمود واللغة العربية

عُرف عن الشيخ محمود أنه لغوي قدير، كان يعشق لغته العربية، وكان يعتبر اللغة العربية- لغة القرآن الكريم- هي لغة الجمال والرقّة والعذوبة والفصاحة والبيان والبلاغة والإعجاز. ومع أنه كان لديه معرفة في اللغة التركية إلا أنه كان غيوراً على لغته العربية التي تمثل روح الأمة وهويتها وحضارتها وكبرياءها. وكان يخشى عليها من الاندثار في زمن عمّ فيه الجهل، لذلك كان في خطبه على المنابر، وفي حلقات الدروس، وفي الاجتماعات العامة يدعو الناس إلى التمسك بلغتهم العربية، ويشحن طاقاتهم من أجل التكلم والتعامل بها.

كان يؤمن بأن الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس، وأن الله أكرمها باللغة العربية لغة القرآن الكريم، لذلك يجب أن نحافظ على لغتنا لأنها أساس

وجودنا وحكاية تاريخنا ووعاء ثقافتنا، وإذا حافظنا عليها نكون قد حافظنا على القرآن الكريم. وكان يخشى أن تتسلل اللغة التركية إلى ألسنة الناس، فيدعوهم في كل المناسبات إلى أن يحافظوا على ألق اللغة العربية، وكان يؤمن بأن قوة اللغة في الأمة الإسلامية تعني استمرارية هذه الأمة لتأخذ دورها بين الأمم.

إن دراسة الشيخ محمود في الأزهر ساهمت مساهمة كبيرة في ضلوعه باللغة العربية، فقد اكتسب من الأزهر الكثير من شتى العلوم الفقهية واللسانية، مما انعكس على تبحره في اللغة العربية. ويجب أن لا يُنسى أن الشيخ محمود كان حافظاً للقرآن الكريم غيباً، ومن جهةٍ أخرى نسخ القرآن الكريم بخطه الجميل، وظلَّ هذا المصحف بين أيدي الأبناء والأحفاد حتى عام ١٩٥٥، ثم تساقطت أوراقه وتناثرت، وظهر البلى على أوراقه الباقية، فطلبت مني جدتي أن أرسل

ما تبقى منه لعمي الشيخ رفيق، فحملته ومعى بعض
أبناء عمى، وسلمته لعمنا الشيخ رفيق لتدبير أمره.

أما قصائد الشيخ محمود فقد عكست ضلوعه
باللغة العربية، إذ إنها حقًا متينة التراكيب ومراعية
للصرف والنحو، ومزدانة بحلة بلاغية جميلة.

الشيخ محمود شاعراً

نظم الشيخ محمود الشعر وهو في السادسة عشرة من عمره، وعرضه على والده الشيخ عبدالحليم، فأعجب الوالد بولده، وشجعه كي يسير في هذا الفن. وعندما عاد من الأزهر الشريف كان حاملاً عدداً من القصائد التي نظمها خلال دراسته هناك، وظلّ مواصلاً طريق الشعر، لذا عرفه أصدقاؤه ومعارفه في عنبتا وطولكرم ونابلس والقرى المجاورة بأنه شاعر بليغ، وعلى مستوى رفيع.

وقد جاء في كتاب تاريخ جبل نابلس والبلقاء الجزء الرابع ص ١٤٥ و ١٤٦ لمؤلفه إحسان النمر في حديثه عن الشعر في منطقة نابلس في أواخر العهد التركي:

"كان في هذا العهد شعراء بليديون يقولون شعراً عرفت منهم: الشيخ صالح الخفش من مردا، والشيخ صالح

الخريوش من بيتا، ثم تقدم التعليم فظهر شعراء يراعون الصناعة اللغوية، وينظمون للتاريخ منهم: الشيخ نمر الداري من نابلس، ومحمود بك صلاح من نابلس، والشيخ محمود العبد الحليم من عنبتا، والشيخ احمد البسطامي من نابلس، والسيد محمد صالح الصمادي من نابلس، والشيخ عمرو عرفات من نابلس، والشيخ محمد تفاحة من نابلس، والشيخ رفعت تفاحة من نابلس".

وكان بين الشيخ محمود وهؤلاء الشعراء صداقات، جمعتهم الجلسات الأدبية، وتبادلوا سماع القصائد، وطرحوها للنقد والتحليل. وقد انحصرت اغراض الشعر في هذه الفترة بالمديح، والهجاء، والثناء، والتهاني والتعازي، وتأريخ الموالييد، وتأريخ الأحداث على حساب الجمل.

والمأمل في قصائد الشيخ محمود الواردة في هذا الكتاب، سيجدها منسجمة مع هذه الأغراض شأنها شأن قصائد جميع الشعراء في تلك المرحلة، وفي نفس الوقت من يقرأ قصائده على قلبها يجد فيها جمالاً، وإبداعاً، وقوةً، وقدرة لغوية فائقة، وموهبة شعرية راقية، وبلاغة لافتة، وهذا ما يقودنا إلى القول: إن من نظم هذه القصائد الجميلة لا بد أن نظم غيرها ولكنها ضاعت مع الأيام.

الشيخ محمود وحساب الجمل

حساب الجمل طريقة حسابية تستخدم فيها الحروف الأيجدية، فيعطى كل حرف قيمة رقمية، وتستخدم الأرقام لتحديد كلمات أو جمل تحمل معنى تاريخي، فالتأريخ الشعري هو أن يختم الشاعر قصيدته بيت من الشعر أو شطر واحد، إذا حسبت حروفه بحساب الجمل عرفت السنة التي وقع فيها الحدث، وهي السنة التي يريد الشاعر أن يؤرخها.

وعلى هذا فإن بناء جملة أو بيت من الشعر على حساب الجمل ليس سهلاً، بل هو بالغ الصعوبة، ولا ينجح فيه إلا كل ذي مقدرة حسابية فيها البراعة والذكاء والفتنة. لقد نجح الشيخ محمود أيما نجاح في تأريخ ما يريد على حساب الجمل، وظهر هذا في المناسبات الآتية:

١. ما نُقِشَ على الباب الداخلى للمسجد القديم في عنبتا
عند توسعته عام ١٩٠٧ م:

عَنْبَتَا بِهَا قَدْ قَامَ لِلَّهِ مَسْجِدٌ
بِأَنْوَارِهِ حَقًّا غِيَاهُهَا تُجَلَى
فَلَا زَالَ مَعْمُورًا بِذِكْرِ إِلَهِنَا
مُصَانًا وَآيَاتُ الْقُرْآنِ بِهِ تُتْلَى
هَنِيئًا لِمَنْ يَأْتِيهِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
يُصَلِّي بِهِ نَفْلًا وَ يَرْجُو رِضَى الْمَوْلَى
وَلَمَّا انْتَشَا أَنْشَأَ مُؤَرِّخُهُ (ويا
لِلَّهِ مَا أَغْلَى وَلِلَّهِ مَا أَحْلَى)

س ١٣٢٥ سنة

٢. ما نُقِشَ على ضريح الحاج مصطفى بن محمد القبيج،
المتوفى عام ١٩١٤ م^(١):

(١) عنبتا في العصرين المملوكي والعثماني من تأليف بهاء نصار

رَمْسٌ تَرُونَقَ رَسْمُهُ .. وَ تَلَمَّعَتْ أَنْوَارُهُ .. أَوْقَدَ تَضَمَّنَ حِسْمٌ مَنْ
شَهُمٌ تَقْضَى عُمُرُهُ .. وَ الْمَكْرُمَاتِ شِعَارُهُ .. مَا مَاتَ صَاحِبُ سِيرَةٍ
فِي النَّاسِ زَادَ وَقَارُهُ .. رَبُّ الْمَكَارِمِ مُصْطَفَى .. وَهُوَ الشَّهِيدُ فَخَارُهُ
يَرْنُو بِهَا تَذْكَارُهُ .. تَرْحَالُهُ أَرْخَ (لَهُ .. جَنَّةُ خُلْدٍ دَارُهُ)

س ١٣٣٢ سنة

٣. ما نُقِشَ عَلَى ضَرِيحِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَاجِّ نَصَّارٍ
إِسْمَاعِيلَ، الْمُتَوَفَى عَامَ ١٩١٦ م:

رَمْسٌ تَرُونَقَ رَسْمُهُ
وَعَلَّتْهُ أَنْوَارُ الْقَبُولِ
قَدْ حَلَّ فِيهِ مُحَمَّدُ النَّصَّارِ
ذُو الْكَفِّ الْبَذُولِ
لَمَّا دَعَاهُ إِلَهُهُ
لِنَعِيمِ دَارٍ لَا يَزُولُ
أَرْخَ (لِعَامِ وَفَاتِهِ)
أَبْشَرَاهُ حَارَ لِكُلِّ سُؤْلِ

س ١٣٣٤ سنة

٤- وأتاك مؤرخه يهدي

لكم التاريخ أيا فطنا

(بصفي الدين لقد أشدى

طير الأدواح له و رنا)

من أبياته في قصيدته لصديقه الشيخ عبد الغني
ياسين اللبدي يهنئه فيها بمولوده صفي الدين، ويبين
البيت السنة التي ولد فيها صفي الدين أبو النجا، وهي
سنة ١٢٨٨ هجرية الموافق ١٨٧٠ ميلادية.

طريقة حساب الجُمَّل

القيمة العددية	الحرف	
٢٠	ك	كلين
٣٠	ل	
٤٠	م	
٥٠	ن	
٦٠	س	سعنص
٧٠	ع	
٨٠	فا	
٩٠	ص	

القيمة العددية	الحرف	
١	أ	ألف
٢	ب	
٣	ج	
٤	د	
٥	هـ	هـز
٦	و	
٧	ز	
٨	ح	حـ
٩	ط	
١٠	ي	

القيمة العددية	الحرف	
١٠٠	ق	قـ
٢٠٠	ر	
٣٠٠	ش	
٤٠٠	ت	
٥٠٠	ث	ثـ
٦٠٠	خ	
٧٠٠	ذ	
٨٠٠	ض	ضـ
٩٠٠	ظ	
١٠٠٠	غ	

شخصية الشيخ محمود^(١)

رجل متوسط الطول مهيب الطلعة، كامل الأناقه، ذو شيبة مشرقة، ولباس المشيخه منحه هيبهً ووقاراً. رجل ذو ذكاء نادر وعلم زاخر، طلق اللسان، فصيح العبارة، لديه ملكة في نظم الشعر. بارع ضليع في علم النحو، لذلك عرف عنه أنه خطيب لا يلحن في خطبه وكان يُلقي خطب الجمعة بلا ورق، وقد أجمع عارفوه على أن الشيخ محمود كان يلقي خطبة الجمعة في المسجد ارتجالاً دون أن يتلعثم أو يتأتىء، وكان كلامه يثير النشاط ويبعث الأمل وليس كلاماً يثير النعاس ويبعث الملل، وكان يبتعد عن الموضوعات المكررة والمملولة، وبأسلوب جاذبٍ ومشوّق.

(١) شارك في هذا الوصف كل من ابنه الشيخ رفيق، والشيخ الأزهرى عبدالله حنون.

كان له دور قيادي وتنويري واجتماعي، وكان له
مآثر في حل النزاعات بين الناس، وكان المعتمد في عنبتا
والقرى المجاورة في التوسط في فض الخلافات وإنهاء
الخصومات العائلية، فكان يتوجه لحل خلاف على
رأس مجموعة من المشايخ الأجلاء، والرجال الفهماء
الذين يمشون وراءه، ويتحركون بإشارة من يده، فكم
ألف بين زوجين مختلفين وأصلح بين شريكين وجارين.

كان في جلساته مشرق الوجه باسم الثغر، يتحرك
لسانه ما بين ترحيب بالجالسين أو كلام نافع ممزوج
بالنكتة، فمجالسته متعة، وحضرته مريحة، لأنه كان
مطبوعاً على التندر والفكاهة وخفة الروح. وكان جريئاً
في قول كلمة الحق أمام المسؤولين والباشوات
والوجهاء الكبار، وأهل العقد والحل، ولا تأخذه في الله
لومة لائم. ولم يكن متزلفاً لصاحب نفوذ أو متملقاً
لمسؤول، كان كثير الأصدقاء ووافر المعارف وبخاصة

من المشايخ الرفاق الذين تجل أقدارهم وترتفع منازلهم، وتقبل أيديهم، ويطلب دعاؤهم، وكلهم مشايخ صالحون يحفظون القرآن الكريم، ويفتون الناس ويعلمونهم ويرشدونهم.

هذا هو الشيخ محمود الذي كان محاطاً باحترام كبير ومحبة خالصة من معارفه الذين كانوا يقبلون يده عند السلام عليه، وإذا قال وقف المشايخ عند قوله، وإذا أمر لم يخالف أمره أحد.

عاش الشيخ محمود أربعة وثمانين عاماً، بكامل قواه العقلية، وتوقد ذاكرته الخصبة، واعتبره أهل زمانه مرجعاً في الفقه، وحجة في علوم اللغة العربية: معانيها وبلاغتها ونحوها وصرفها.

مع الشيخ سعيد الكرّمي

يقول الشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرّمي أبو سلمى في كتابه عن والده الشيخ سعيد الكرّمي/ سيرته العلميّه والسياسيّة: (كان في فلسطين أماكن اشتهرت بإحياء علوم الدين، ومن تلك الأماكن معاهد أو مساجد تدرس فيها علوم الدين والفقه والحديث، وكتاتيب تدرّس فيها مبادئ القراءة والكتابة والخط والقرآن والحساب. وكانت طولكرم وما جاورها من القرى الصغيرة مثل سفارين وعنبتا وكفر اللبد وذنابة وغيرها مراكز للعلم من هذا النوع، وقامت فيها مدارس، وظهر فيها شيوخ وشعراء لم يحفظ التاريخ مع الأسف قدراً كبيراً من آثارهم الكثيرة.

ومما يذكر أن هؤلاء الشعراء، كانوا يتزاورون ويتقارضون الأشعار، وكانوا يقولونه على البديهة. وكان

لوالدي سعيد الكرmi صلات وثيقة بهؤلاء الشعراء)،
إلى هنا ينتهي كلام عبد الكريم الكرmi.

ويقصد أبو سلمى بهذا الكلام كلا من الشيخ
محمود عبد الحليم من عنبتا والشيخ عبد القادر
التفال من ذنابة وعدداً من شعراء آل ياسين اللبدي من
كفر اللبد، وشعراء من آل السفاريني في سفارين.

وفي موضع آخر يقول عبد الكريم الكرmi في حديثه
عن صديقه الشاعر عبد الرحيم محمود: لقد كانت
علاقة مميزة وصداقة حميمة بين والدي ووالد الشاعر
عبد الرحيم محمود، والحكاية التالية تؤكد كلام
الشاعر أبي سلمى:

كانوا ثلاثة، يشهد لهم القاضي والداني في منطقة
طولكرم وهم: الشيخ سعيد الكرmi من طولكرم،
والشيخ عبد القادر التفال من ذنابة، والشيخ محمود
عبد الحليم من عنبتا، وكانت بينهم مساجلات أدبية

وفكاهية. وفي يوم من الأيام كانت جلستهم عند الشيخ
التفال في ذنابة، فعتب التفال عليهما لقلّة زيارتهما له،
ورجاهما أن يزوراه زيارة قريبة من أجل أن يكرمهما
بوليمة فاخرة، غادر الشيخان بعد أن وعدا صاحبهما
أن يرسلأ له فيما بعد عن موعد الزيارة القادمة، وعن
الطعام الذي يرغبانه، وبعد ثلاثة أسابيع أرسل الشيخ
محمود بعد الاتفاق مع الشيخ سعيد ورقة فيها موعد
الزيارة، ومع الرسالة هذه الأبيات المتضمنة ألغازا
كامتحان للشيخ التفال، وقد أطلع الشيخ محمود
صديقه الكرمي على الرسالة قبل أن يرسلها، فأعجب
الكرمي بها وضحك من أعماق قلبه. أما الأبيات فتقول:

نونان نونان لم يكتيهما قلمٌ

في كل نون من النونين عينانِ

عينان عينان لا عينان أبصرتا

لكل عيني من العينين نونانِ

وإن سلكنا سبيل الاقتصاد كفى

لكل ضيفٍ من الضيفين صوصانٍ

وأكلة الحلو لا تُنسى وقهوتها

هال يزيّنها في وسط فنجانٍ

وعند الموعد المتفق عليه قام الشيخان محمود

والكرمي بزيارة الشيخ التفال، فوجدا الطعام المطلوب

في الرسالة وهو السمك، وبذلك أثبت الشيخ التفال

نجاحه في حل اللغز.

وتفسير اللغز كما يلي: النون تعني السمك وليس

حرف النون، والعين تعني السيد في قومه وليس العين

المبصرة، إذن المطلوب سمكتان لكل سيد من

السيدين، وكل سمكة لها عينان، اما عينان في البيت

الثاني فمعناها لكل سيد من السيدين سمكتان.

مع العلم أن البيت الأول والثاني هما بيتان

مشهوران في عالم الألغاز الأدبية، يرددهما الكثير من

المثقفين، وهما من نظم الشاعر والفيلسوف محي الدين بن عربي الذي عاش في زمن الأندلس، ومات في دمشق عام ١٢٤٠ ميلادية، واستشهد الشيخ محمود بها يدل على ثقافته الواسعة واطلاعه الوافر، وذاكرته الخصبة، وحسن اختيار ذكي لمناسبة جميلة. أما البيتان الثالث والرابع فهما من نظم الشيخ محمود، وقد أضافهما ليعطيا للرسالة طعماً ونكهة أدبية ممتعة، ويدلان على قدرته الشاعرية، وروحه التي لا تخلو من المرح والدعابة، والبيتان منسجمان مع البيت الأول والثاني.

وقد عرف عن الشيخ محمود إذا تكلم أو كتب يكون في أسلوبه ميل للدعابة والطرفة والفكاهة، لذلك كانت جلساته تستهوي كل العارفين له في عنبتا وطولكرم ونابلس وسائر القرى.

مع الشيخ عبد الغني اللبدي

قال الشيخ محمود هذه القصيدة^(١) الجميلة بمناسبة ولادة ابن صديقه (أبو النجا صفي الدين) بن عبد الغني بن ياسين بن محمود بن ياسين بن طه بن أحمد بن طه اللبدي الحنبلي من قرية كفر اللبد المجاورة لعنبتا والمولود عام ١٢٨٧ هجرية الموافق ١٨٧٠ ميلادية. وقد ورد اسم الشيخ عبد الغني في عنوان الرحلة اللبديّة -في صفحة أخرى من هذا الكتاب- وهذه القصيدة تدل على عمق الصداقة بين الشيخ محمود والشيخ عبد الغني.

أسراج الشمس يضيء لنا

أم بدر التّمّ التّمّ بنا

(١) قدمها لي المحامي محمود الشيخ ياسين أحد أحفاد الشيخ عبد الغني،

وقد عثر عليها بين أوراق جده.

أم ذاك البرق له ومض

يجلي الديجور به علنا

بل ذاك الولد لعبد غني

نجل فامدحه بحسن ثنا

جلب الأفراح بمولده

وأزاح الهم وكل عنا

فربوع الدار له رقصت

كم يحلو الرقص بساحتنا

وزهور الروض لقد نفحت

أرج الأرواح يفوح لنا

وطيور الأيك لقد صدحت

وبلابلها برقيق غنا

يَهْنَأُ الأَبْوَانُ بِنَجْلِهِمَا

وَالسَّعْدُ زَهَا وَالْحِظُّ دَنَا

لَهُمَا الْبَشَرَى بِعَزِيزِهِمُو

سَيَحُوزُ الْفَضْلُ بِدُونِ وَنَا

فَيَطِيبُ الْفَرْعُ بِطِيبِ الْأَصْلِ

أَبُوهُ لَعَمْرُكَ رَمَزَ سَنَا

وَأَتَاكَ مَوْرَخُهُ يُهْدِي

لَكُمْ التَّارِيخَ أَيَا فِطْنَا

بِصَفِي الدِّينِ لَقَدْ أَشْدَى

طَيْرَ الْأَدْوَاكِ لَهُ وَرَنَا

نابلس والشيخ محمود

تعود علاقة الشيخ محمود بمدينة نابلس الى عام ١٨٤٩ ميلادي، عندما أرسله والده الشيخ عبد الحليم (الثاني) إلى جامع البيك من أجل أن يواصل تعليمه الديني، وأمضى في جامع البيك ثلاثه أعوام دراسية، أظهر فيها تفوقاً حسب شهادة معلميه المشايخ، ثم غادر إلى الجامع الأزهر في مصر، فدرس ستة أعوام، عاد بعدها حاصلاً على الشهادة العالمية، وعمل معلماً في كتّاب عنبتا ما يقرب من سبعة عشر عاماً، ثم عمل معلماً في قرية الطيرة لمدة عام واحد فقط وذلك عام ١٨٨٤ ميلادي، حيث بدأت الحكومة التركية بإنشاء المدارس، وبعدها وقع الاختيار عليه ليكون معلماً في المدرسة الدينية التابعة لجامع البيك في مدينة نابلس، فعمل فيها من عام ١٨٨٥-١٨٨٨ ميلادي، وكان من أحب تلاميذه إلى قلبه الطالب المتفوق أحمد

البسطامي^(١) (١٨٧٢ - ١٩٤٥)، الذي واصل تعليمه في دمشق، ونال سمعةً دينية وأدبية واجتماعية في مدينة نابلس.

أحب الشيخ محمود مدينة نابلس، وتوطدت علاقاته مع مشايخها وبعض أهلها، فمنهم من عرفه أثناء دراسته في الجامع الأزهر في مصر، ومنهم من عرفه خلال عمله في التدريس في جامع البيك، ومنهم من عرفه من خلال لقاءاته بالمشايخ لدى زيارته المتكررة للمدينة. وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ محمود يشغل عضواً من أعضاء الدعاوي والمحاكم في منطقة بني صعب، كان أصدقائه في نابلس يشغلون نفس الوظيفة، ومنهم الشيخ عباس الخماش والشيخ بدوي عاشور. كذلك عندما كان الشيخ محمود مفتياً في منطقة بني صعب، كان صديقه الشيخ نمر الداري

(١) من أوراق ابنه الشيخ محمد البسطامي

مفتياً في مدينة نابلس، فيلتقيان في جلسات طويلة
ليتباحثا في شؤون الإفتاء.

اتسمت علاقة الشيخ محمود بـمشايخ نابلس
بالإخاء والوفاء والألفة والمحبة والاحترام المتبادل،
والتشوق الدائم للقاءات الجميلة التي كانت مليئة
بحوارات دينية وفقهية وشرعية وأدبية واجتماعية
وسياسية، فقد جالسهم وساجلهم وبادلهم الرؤى
والأفكار بأسلوب عكس ثقافته أدباً وشعراً وفقهاً
وتاريخاً.

كان يصول ويجول في رحاب اللغة العربية إلى
جانب أنه كان راوية للأحاديث الشريفة والشعر،
يستشهد بهما في كل موضوعاته بـقالب مشبع بالفكر.
ومن أهم المشايخ الذين كان يجالسهم الشيخ عبدالله
صوفان القدومي، والشيخ عبد الفتاح الحجاي
والشيخ نمر الداري والشيخ عمرو عرفات، والشيخ

منيب هاشم، والشيخ عمر زعيتر والشيخ محمد
تفاحة. كان المشايخ في نابلس يعتبرونه سيد المجالس،
فمن علمه يتعلمون، ومن يناييعه ينهلون، وعلى خطاه
يسيرون، إلى جانب شخصيته الجذابة في الفكاهة
وخفة الدم.

كانت معظم جلسات المشايخ في حانوت (دكان)
الشيخ عبد الفتاح الحجاوي في السوق القديم، حيث
تباع في هذا الدكان الكتب والطوابع والأدوات المدرسية
والكتابية. وكان حانوت الشيخ عبد الفتاح أشبه بدار
ندوة، تدور فيها الأحاديث والنقاشات الدينية والأدبية
والفكرية والاجتماعية، وإن حان وقت الصلاة، فإنهم
يتوجهون معاً إلى المسجد الحنبلي ليصلوا جماعة،
فكانوا يكرمون الشيخ محمود ويقدمونه إماماً.

وفي يوم من الأيام اتفق أصدقاؤه المشايخ أن
يوقعوه في مقلب، ولما اجتمعوا وجّه الشيخ محمد

منيب هاشم سؤالاً للشيخ محمود قائلاً: ما رأيك يا
شيخ محمود في قول الشاعر:

رأيت آدم في نومي فقلت له

أبا البرية إن الناس قد زعموا

أهل الفلاحة نسل منك قال أنا

حواء طالقة إن صح قولهمو

فانفجر الحضور بالضحك المتواصل مما أخرج الشيخ
محمود، لأن الكلام فيه تهكم على الفلاحين، ويقلل من
شأن أهل القرى، فقرر الشيخ محمود أن يرد عليهم
بكلام أقسى في اللقاء القادم، ولما التقوا بدؤوا
يتطارحون الأحاديث، وكل يدلي بدلوه، إلى أن جاء دور
الشيخ محمود وقال: لدي قصيدة أحب أن تسمعوها،
فنصت الجميع لقصيدة لم يتوقعوها.

يا أهل نابلس التّزّ

حارت بوصفكم الفكر

أنتم لسوء فعالكم

قُبِّحْتُمْ بين البشر

أنتم لطول لسانكم

نار السعير لكم مقرّ

الفجل فزلّ عندكم

وكذا ابن خالته الزر

عن ماء زمزم قلتم

ماء مجمزم با بقر

والشمس قلتم إنها

سمسٌ وذاك هو الأمر

أمرؤكم وزراؤكم

منا إذا الأمر اشتهر

تباً لكم صباحاً مسا

من غاب منكم أو حضر

ضحك الحضور وقالوا: قسوت علينا يا شيخ محمود،
فقال: القادم أعظم. وكذلك في نفس الجلسة بين
الشيخ محمود لأصدقائه الشيوخ بأن البيتين اللذين
ذكرنا في الجلسة السابقة، وفيهما تهكم على الفلاحين
هما بيتان اقتبسا مع شيء من التغيير من قصيدة لأحد
شعراء الأندلس، الذي صور الصراع بين العرب
والبربر، فهجا البربر بقوله:

رأيت آدم في نومي فقلت له
أبا البرية إن الناس قد زعموا
أهل البرابر قوم منك قال أنا
حواء طالقة إن صح قولهمو

وهنا فاجأ الشيخ محمود أصدقاءه بسعة اطلاعه
وغزير علمه ووافر ثقافته.

لقد ظلّ الشيخ محمود يكثر من التردد على مدينة نابلس، فهو لا يستطيع أن يستغني عن أصدقائه المشايخ وبنفس الوقت لا يعرف أن يعيش إلا مع جو المشايخ، ونابلس بيئة حاضنة لعدد من المشايخ من أصدقائه ومعارفه.

كان يقتني حماراً كوسيلة للتنقل والسفر، فكانت رحلته إلى نابلس على ظهر حماره، ولما دخل القطار إلى مدينة نابلس عام ١٩١٥ صار الشيخ محمود يسافر بالقطار المار من محطة عنبتا متجهاً إلى مدينة نابلس، فاصبح السفر سهلاً.

مع الشيخ عبد الفتاح الحجاوي

جاء في كتاب (الكواكب الدريّة في العقائد الإسلامية) من تأليف الشيخ عبدالفتاح حجاوي من نابلس عدة تعليقات على الكتاب منها الشعر ومنها النثر، وكلها مدح وثناء على الكتاب والكاتب. وهذه التعليقات لكبار الشعراء والعلماء في منطقة نابلس، ومنهم الشيخ محمود عبدالحليم العنبتاوي، الذي يقول:

عندما تأملت هذه العجالة، وسرّحت نظري بهذه الرسالة، وجدتها غاية في الأهمية، ونوافح نوافجها المسكّية عابقة، فاقتطفت من رياضها النضيرة أجمل الأزهار، وشممت من نفيس أنفاسها ما يهزأ بأنفاس العرائس الأبقار.

رسالة كشفت عن كل غانية

نقاب وجه حكى في حسنه القمر

اعكف عليها وقبّل حسن مبسمها

إذ مثلها في جميع الكون لست ترى

فكيف ومصنّفها الحبر الذي هو بكل وصف جميل
حاو، الفاضل الهمام والأسد الضرغام الشيخ
عبدالفتاح الحجاوي، متّعنا الله بطول حياته، وأمدّنا
بميراثه ومؤلفاته. ولما تكحلت عيناى بأثمد عباراتها
الشافية، وأجلت فكري في بدائع أسئلتها وأجوبتها
الكافية، قرضتها بهذه الأبيات راجيا من مؤلفها أن
يشملني منه بصالح الدعوات ، فقلت :

رسالة قد حوى أسلوبها عجا

يهتز دارسها من لطفها طربا

لاحت كواكبها للعين في غسق

وقد أبانت لنا ما كان محتجبا

قرّت بها عين قاريها وسامعها
ونال حافظها من هديها الأدبا
بفضل طالعها للناس قد شهدت
إذ أنّها أفصحت عن كل ما وجبا
لله من فاضل اهدى لنا دررا
قد صاغها متقنا كي يدرك القربا
فكم له من أياد جلّ خالقها
تجلّ قدرا فسبحان الذي وهبا
ما شام مكرمة إلا وثابرها
ولا رأى طاعةً إلا لها وثباً
نعم الهمام مفيد الخير مرشدنا
حياه من فضله الفتاح ما رغبا
لا زلت يا عابد الفتاح تمنحنا
فوائد العلم كي نرقى بها رتبا

مع الشيخ عبد الله صوفان القدومي

ولد الشيخ عبد الله صوفان القدومي في قرية كفر قدوم قرب نابلس عام ١٨٣٠، ودرس في دمشق على يد أشهر علماء الحنابلة، وبعد أن عاد إلى نابلس تولى التدريس في الجامع الصلاحي، فذاع صيته، واجتمع علماء الحنابلة حوله. ثم عمل مدرساً في جامع البيك، وهناك التقى بالشيخ محمود المدرس في نفس الجامع، فتعارفا، وعرف كل منهما قدر الآخر. وتكرر لقاءهما مع بقية المشايخ في حانوت الشيخ عبدالفتاح الحجاوي، فتوطدت الصداقه بينهما، وكنا يصولان ويجولان في قضايا فقهية وشرعية. وكان الشيخ القدومي يتباهى أمام المشايخ بتلميذه المتفوق الشاعر والعالم والمفتي محمد منيب هاشم (١٨٥٥-١٩٢٤)، فيرد عليه الشيخ محمود: وأنا أتباهى بتلميذي الشاعر والعالم أحمد البسطامي (١٨٧٢-١٩٤٥). وكثيراً ما كان يحصل هذا

التباهي بحضور الشيخين الجليلين هاشم والبسطامي،
فيقف الشيخ محمد منيب هاشم راداً الفضل لأستاذه
الشيخ عبد الله القدومي، ويقف الشيخ أحمد
البسطامي راداً الفضل لأستاذه الشيخ محمود.

وقد أصدر الشيخ القدومي تصانيف كثيرة من
أهمها (المنهج الأحمد في درء المثالب التي تُنمى لمذهب
الإمام أحمد) وذلك عام ١٩٠٢، وقد أهدى نسخة
للشيخ ممود عبد الحليم، فأعجب بها الشيخ محمود،
وعلق عليها بقصيدة أهداها للشيخ القدومي، وقرأها في
حاضرة مجموعة من العلماء، وفيما يلي القصيدة:

رِسَالَةٌ كَعُقُودِ الدُّرِّ فَائِقَةٌ

فِيآلِهَا تُحَفَةٌ مَا مِثْلَهَا تُحَفٌ (١)

(١) عنبتا في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء محمد نصار صفحه ١٤٠

تَرْهُوَ فَوَائِدُهَا كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ
وَالْبَدْرِ فِي شَرْفٍ مَا شَانَهُ كَلَفُ
فَاحْفَظْ عِبَائِرَهَا وَاشْمُمْ عِبَاهِرَهَا
وَاقْطِفْ أَزَاهِرَهَا فَالزَّهْرُ يُقْتَطَفُ
وَاسْرِجْ بَرُوضَهَا وَاشْطَحْ بُزْهَتَهَا
كَادَتْ لِخِفَّتِهَا بِاللَّمَحِ تُخْتَطَفُ
وَالْمُورِدُ الْعَذْبُ لَا يَنْفَكُ مُزْدَحِمًا
تَوَدُّ مِنْهُ جَمِيعُ النَّاسِ تَرْتَشِفُ
ذَا الْمَنْهَجُ الْأَحْمَدُ الْمَرْضِي يَقُولُ لِمَنْ
قَدْ أَمَّهُ نَاهِجًا إِيَّاكَ تَنْحَرِفُ
فَصَاحِبُ الْفَضْلِ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدُنَا
أَبَانَ فِيهِ لَنَا مَا سَنَّهُ السَّلَفُ
هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي جَلَّتْ فَضَائِلُهُ
عَنْ أَنْ تُضَاهَى وَقَدْ ضَاقَتْ بِهَا الصُّحُفُ

حَبْرٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ زَاهِدٌ وَرِعٌ

وَعَنْ طَرِيقِ الْهُدَى مَا كَانَ يَنْحَرِفُ

مَدَارِسُ الْعِلْمِ أَضَحَّتْ فِيهِ عَامِرَةٌ

هَذَا الْفَخَارُ وَهَذَا الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ

هَذَا هُوَ الْفَخْرُ لَا تَشْرُ يُعَادِلُهُ

مَا الْمَالُ مَا الْجَاهُ مَا الْوَلَدَانِ مَا الْغُرْفُ

إِذَا تَصَدَّى لِتَدْرِيسِ الْعُلُومِ يُرَى

كَأَنَّهُ مِنْ عُبَابِ الْبَحْرِ يَغْتَرِفُ

وَيَا لَهُ مُنْصِيفاً مَا اعْوَجَّ مَنَهِجُهُ

هَلْ يَسْتَوِي سَالِكُ الرُّشْدِ وَمُنْحَرِفُ

حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ يَا هَذَا وَلَا حَرْجُ

هَذَا الَّذِي فِيهِ أَهْلُ الْفَضْلِ تَعْتَرِفُ

الشيخ محمود

إماماً وخطيباً وواعظاً ومأذوناً

تسلم الشيخ محمود عبدالحليم عمله إماماً وخطيباً في مسجد عنبتا عام ١٨٨٨ ميلادي خلفاً للشيخ محمود إسماعيل أبو العون الذي كان إماماً وخطيباً من عام ١٨٨٤ إلى عام ١٨٨٨ ميلادي. وظل الشيخ محمود عبدالحليم في عمله حتى عام ١٩١٥ ميلادي. وما صلى أحد وراءه وبخاصة صلوات الصبح والمغرب والعشاء إلا اشتى أن يعود ليصلي مراراً، لأنه وجد لذة العبادة وحلاوة الإيمان وجودة الترتيل وحسن الخشوع، وبذلك زاد عدد المصلين في المسجد.

وكان لصلاة الصبح عند الشيخ محمود طعم خاص، فقد كان الشيخ محمود يصل إلى المسجد مبكراً، فيحيي المسجد بركعتين، ثم يأخذ مكانه المعهود، ويفتح المصحف الشريف، ويبدأ المصلون

بالتوافد على المسجد تباعاً مع سماعهم قرآن الفجر
ينبعث من صوت الشيخ محمود مرتلاً بصوته الرخيم،
بصوته الرقيق الشجي، فميز مشاعر كل من هو في
المسجد، ويبقى هذا المشهد إلى أن يقيم الصلاة مقيماً،
ويتكرر هذا الحال عند صلاة الصبح في كل يوم^(١).

وأرى أن لأبد من ذكر هذا الموقف: كان في الرابعة
عشره من عمره عندما كان يحضر إلى المسجد لأداء
الصلاة، فيطلب منه أصدقاؤه وعارفوه أن يئم
بالمصلين مع صغر سنه، فيقوم بالإمامة، ويحتج بعض
المصلين الكبار على إمامته لأنه ولد، ولا يضع عمامه
على رأسه، وليس له لحية، وكان الشرط في الإمام أن
يضع عمامة وأن يكون له لحية، فيرد عليهم محمود

(١) ذكر الشيخ عبد الله حنون: كنت في الخامسة عشرة من عمري عندما كنت أرافق
والدي لأداء صلاة الفجر في المسجد، فأجد راحة ورغبة وامتعة في الحضور إلى المسجد
لأن الصلاة بمعية الشيخ محمود

الفتى: سهلٌ علي أن أضع عمامة، ولكن من أين آتي لكم بلحية؟ فيعجبون ويضحكون لكلامه، ويقبلونه إماماً^(١).

أما خطبه في المساجد فلم تكن خشبية لا رواء فيها ولا روح، بل كانت نديّةً تخلق الانسجام مع المصلين، وعرف عنه أنه كان خفيف الظل في خطبه، فلا ينقل على المصلين في طول الخطبة، ولا يُدخل السّام والممل إلى نفوسهم، وإذا كان الطقس حاراً أو بارداً يكتفي بخطبة قصيرة شعوراً مع المصلين. والجميل الجميل أنه كان يلطّف الجو بنكتة مليحة أو حكاية مضحكة، فيضحك المصلون بملء أشداقهم، وهكذا كانوا يتشوقون لسماع خطبه في كل جمعة، أو في كل حلقة من حلقات الدروس. ومن الجدير ذكره أنه كان يلقي

(١) رواها الشيخ عبدالله حنون من ذاكرة والده الحاج مصطفى

خطبه ارتجالياً وباللغة الفصحى دون أن يلحن (يخطئ في قواعد اللغة)، ودون الاستعانة بورقة^(١).

وقد لعب الشيخ محمود دوراً مهماً في الوعظ والإرشاد، فكان بعد صلاة كل عصر يعقد جلسة للمصلين ليعلّمهم أمور دينهم، ويبصرهم بالفرائض واحكامها وطريقة ادائها، حيث كان الناس في ذلك الزمن أميين، ويسيطر عليهم الجهل، وينقصهم الوعي في كل أمور الدين والحياة. وكان ينتهز شهر رمضان والمناسبات الدينية فيكثر من عقد هذه الجلسات، وكان المصلون يشعرون بالرضى والراحة، فيتشجعون على طرح أسئلة دينية على الشيخ، فيجيبهم عنها. وهكذا كانت تتكرر جلسات الوعظ والإرشاد فيزداد الناس علماً ووعياً وثقافة بشؤون دينهم ودنياهم.

(١) شهادة الشيخ عبدالله حنون، وشهادة ابنه الشيخ رفيق محمود

وفي المأذونية تشير سجلات المحكمة الشرعية في منطقة بني صعب أن الشيخ محمود أسند إليه تكليف بالقيام بأعمال المأذون بالإضافة إلى عمله إماماً وخطيباً وواعظاً. ويعتبر المأذون الشرعي نائباً للقاضي الشرعي، بمعنى أن القاضي أذن له أن يقوم بتوثيق عقود الزواج، وقد كان الشيخ محمود حريصاً على توثيق عقود الزواج توثيقاً صحيحاً حسب الضوابط الشرعية. وهذا نموذج من عقود الزواج التي طلب القاضي الشرعي في طولكرم من الشيخ محمود إجراؤه وتوثيقه^(١).

(١) عنبتا في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء محمد نصار صفحة ١٨١

إلى إمام قرية عنبتا الشيخ محمود أفندي عبد الحليم دام موفقا بالخير .
غُب [بَعْدَ] التحية السنيّة نُنهى إليك أنّه بناء على المضبطة الواردة من مختارين ومجلس
اختيارية قريتكم المتضمنة إنّ سليمان بن الحاج مصطفى أفندي القبيج مراده الزواج
بالمرأة الثيّب فاطمة بنت محمد أبي أحمد، كلاهما من أهالي قريتكم، فيقتضي منكم
إجراء عقد النكاح بينهما بحضور الأولياء، والشهود العدول، على منهج الشريعة
الأحمدية إذا لم يكن هناك مانع شرعيّ ونظاميّ يمنعهما من ذلك، أُعْلِمَ ذلك والسلام
٢٦ شعبان ١٣١٥ هجري.

[الموافق: ٢٢ كانون أوّل عام ١٨٩٧م]

الشيخ محمود حنبلي التابعة

كان الشيخ محمود حنبلي المذهب، وقد ورث التعصب للحنابلة من والده الشيخ عبدالحليم الثاني الذي أخذ المذهب الحنبلي عن آبائه، وقد كان جريئاً في الدفاع عن المذهب الحنبلي، وحصلت خصومة بينه وبين الشاعر العلامة الشيخ يوسف النبهاني^(١) (١٨٤٩- ١٩٣٢) من قرية اجزم قرب حيفا، الذي انتقد بعض علماء الحنابلة بالقسوة والتجريح، وتعرض لكتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) من تأليف نعمان خير الدين الألوسي الواعظ والفقيه المولود سنة ١٨٣٦ م والمتوفى سنة ١٨٩٩ م، العراقي الجنسية.

أما الأحمدان فهما أحمد تقي الدين بن تيمية الدمشقي العالم الفقيه أحد أئمة الحنابلة، وأحمد بن

(١) هو جد تقي الدين النبهاني الشيخ الأزهري مؤسس حزب التحرير. توفي عام ١٩٧٧

حجر الهيتمي المصري من فقهاء الشافعية المتوفى سنة
١٥٦٦ ميلادي.

وقد قال الشيخ محمود في النيهاني شعراً لاذعاً ظهر
في قصيدته الكافية المشهورة عند علماء ومشايخ
عصره، والتي لم أعثر الا على مطلعها وهو:

لقد خاض في التيار يوسف ذاهلاً

ولم يك ذا عومٍ ولا راكب الفلك

أما بالنسبة للمذهب الحنبلي، فقد نشأ أول ما نشأ
في العراق على يد الإمام أحمد بن حنبل أحد الأئمة
الأربعة في الإسلام السني وهم: أبو حنيفة النعمان،
ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن
حنبل، ثم انتقل المذهب الحنبلي إلى فلسطين، فعمّ
معظم أنحاء فلسطين، ثم قام أهل فلسطين بنشره في
مصر.

كانت عنبتا والقرى التي حولها كلها تسير على
المذهب الحنبلي، وما زالت إلى اليوم. والجدير بالذكر
أن مشايخ نابلس الذين هم أصدقاء الشيخ محمود
كانوا يسرون على المذهب الحنبلي أيضاً.

مشايخ عنبتا وجامع البيك

الحديث عن مشايخ عنبتا هو حديث التاريخ، فهم صناع التاريخ وبهم ومعهم تدور عجلة الأحداث، وهم الفئة المتنورة في البلدة، وهم أصحاب القصص والحكايات التي نسمعها، ولكنها مع الأسف لم توثق، ولم تدوّن في كتب، وقد لعب كل منهم دوراً إيجابياً في الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية في عنبتا والمنطقة.

وقد كانت المشايخ تحتل مكانة عالية في المجتمع، وتحظى بالاحترام والتقدير من قبل جميع الناس، إضافة إلى أنهم كانوا يعفون من الخدمة العسكرية في الجيش التركي. وقد كثرت المشايخ في العهد التركي لأن الحكومة التركية شجعت على التعليم في المدارس الدينية، ولذا ظلت رايات الدين تخفق في سماء ديارنا، فكثرت طالبو العلم. وكانت مدينة نابلس من أهم المنارات

التي تشع بنور المعرفة، ففيها جامع البيك الذي يقع وسط المدينة القديمة، وكان يسمى جامع العين نسبة إلى عين الماء التي تقع قرب، وأصبح يسمى جامع البيك نسبة إلى البيك إبراهيم طوقان. وإبراهيم هذا رئيس علماء نابلس عام ١٧٤٥ ميلادي، وزعيم آل طوقان، وكان الجامع في زمنه كنيسة فوضع يده على الكنيسة في القرن الثامن عشر من أجل تحويلها إلى مسجد، واعطى المسيحيين قطعة أرض يملكها لئبنوا عليها كنيسة، وهي اليوم الكنيسة القائمة في البلدة القديمة قرب جامع الخضر في البوابة الغربية.

اهتم إبراهيم بك طوقان بتعليم الدين الإسلامي، فعندما حول الكنيسة إلى مسجد وضع في حسابه أن يكون الطابق العلوي محتوياً على أكثر من عشرين غرفة، تخصص منها غرف للتدريس وغرف لمنامات

الطلاب القادمين من خارج نابلس، وما تزال الغرف قائمة حتى الآن.

ويعود الفضل لهذا الجامع، في تخريج أفواج كثيرة من الأئمة والخطباء والوعاظ ورجال الإفتاء والمأذونين. ومعظم شيوخ عنبتا الذين ظهروا بعد عام ١٨٨٠م تلقوا تعليمهم في هذا الجامع، ويبلغ عددهم أكثر من أربعين شيخاً، وقد سبقهم الشيخ عبد الحلیم (الثاني) والد الشيخ محمود في التخرج من هذا الجامع، ثم واصل تعليمه في صالحة دمشق.

وكانت هيئة العلماء المسؤولة عن المدرسة الدينية في جامع البيك تمنح خريجها شهادة معترفاً بها من الأزهر الشريف ومن دمشق، لذلك كان الخريجون يواصلون تعليمهم إما في الأزهر وإما في دمشق.

ومن أشهر مشايخ عنبتا الذين درسوا في جامع البيك:

- الشيخ عبد الحلیم (الثاني) والد الشيخ محمود
- الشيخ محمود عبد الحلیم
- الشيخ اسماعیل عبد الله
- الشيخ محمود اسماعیل ابو العون
- الشيخ حسین شهاب
- الشيخ نجیب أبو العون
- الشيخ علي شهاب
- الشيخ سليم القبیج
- الشيخ قاسم کنعان
- الشيخ محمد اسعد عورتاني
- الشيخ محمد جابر عدس
- الشيخ عارف محمود عبد الحلیم
- الشيخ فارس عورتاني
- الشيخ عبد الرحیم یوسف شهاب
- الشيخ یعقوب عرفات
- الشيخ محمد جاد الله

- الشيخ إبراهيم السعدي

- الشيخ أحمد ملحم

حياة أهل عنبتا في العصر التركي

كانت حياة الناس ومعيشتهم في عنبتا كسائر أهل القرى والريف، يسيطر عليها الفقر والقلّة والصعوبة، إذ كانوا يعتمدون على الزراعة، فيأكلون مما تنتج الأرض في جميع مواسمها، ويربون الأغنام والبقر من أجل الحصول على الحليب واللبن والجبن واللحوم، ويكثرون من تربية الطيور كالدجاج والحمام لينتفعوا من لحمها وبيضها.

وكانوا يعتمدون على آبار الجمع في الحصول على الماء؛ إذ كان أمام كل بيت بئر تجمع مياهه من أمطار السماء في فصل الشتاء، فكانوا حريصين على أن يكون البئر نظيفاً ومهيأً لاستقبال المطر في كل موسم من مواسم المطر، ومن لا يملك بئراً فإن أفراد أسرته مضطرون أن ينقلوا الماء من أماكن بعيدة، وفي هذا مشقة وتعب. أما الإنارة فكانت تعتمد على مصابيح

الكاز، وكانوا يعتمدون على الحطب كوسيلة لطهي الطعام، فكانوا يستعملونه كوقود لإشعال النار في المواقد والأفران لطهي الطعام، وتسخين الماء للاستحمام والتدفئة، ولذا كان أمام كل بيت مجموعة من حزم الحطب، وكان لزاماً على أفراد الأسرة أن تقوم بجمع الحطب من الجبال وتوفيره باستمرار.

وقد عاش الناس بلا وظائف تدّر عليهم دخلاً، واعتمد كل إنسان على نشاطه الذاتي في توفير الحد الأدنى من مستلزمات المعيشة من مأكّل ومشرب وغيرها. أما البيئة فكانت مغلقة، فلا وسائل مواصلات ولا وسائل اتصالات، إلا على الدواب، إلى جانب الجهل المطبق والفقر المسيطر والمرض المنتشر.

أما الملابس، فكانوا يقتنون الملابس البسيطة بما يقيمهم حر الصيف وبرد الشتاء، ولذا كانت حياتهم فيها

القناعة والكفاف، فلا ترف ولا رفاهية ولا رغد ولا
كماليات.

وفي الجانب الآخر، رغم كل الصعوبات وشظف
العيش، عاش الناس حياة مليئة بالمحبة والرضى
والتعاون والاحترام، وكانت تربطهم علاقات اجتماعية
في مناسبات الأفراح والأتراح، ولهذا عمت البركة في ظل
الصدق والوفاء والإخلاص والمشاعر الإنسانية، وقد
لعب الشيخ محمود دوراً إيجابياً في هذا المجال، إذ كان
حريصاً في دروسه الدينية وخطبه على المنبر على توجيه
الدروس والنصائح لأهل بلدته، فانتصحو بها وعاشوا
حياتهم بهدوء وسعادة وقناعة.

الرحلة اللبديّة في عيادة مرضى طبرية

هذا هو عنوان القصيدة الطويلة التي نظمها الشيخ محمود^(١)، ومناسبتها أن مجموعة من مشايخ منطقة بني صعب عزموا على القيام برحلة إلى طبرية على ظهور الخيل، لزيارة أصدقائهم المشايخ الذين كانوا قد أصيبوا بمرض الكوليرا^(٢)، وتم شفاؤهم، وذلك عم ١٩٠٢، وقد ناموا ليلتهم في قرية كفر اللبد، وفي الصباح الباكر انطلقوا في رحلتهم.

أما لماذا مرضى طبرية؟ فلأن عبدالسلام الطبري (١٨٣٣-١٩٢٣) مفتي طبرية وصديق الشيخ محمود

(١) حصلت على القصيدة من بيت عمتي جميلة في قباطيه، وكذلك اطلعني المحامي محمود الشيخ ياسين على القصيدة من بين أوراق جده، ولكنها كانت تنقص كثيراً من الأبيات.

(٢) في عام ١٩٠٢ انتشر مرض الكوليرا في معظم أنحاء فلسطين، وكان يطلق عليه اسم الهواء الأصفر، وقد مات بسببه المئات من الناس.

وزميله في الجامع الأزهر كان أحد المصايين، وهو الهدف الرئيس من الزيارة.

وقد ترأس الشيخ محمود هذه الرحلة، ودوّن مسيرتها بهذه القصيدة الطويلة ذاكراً أسماء القرى التي مروا بها أو نزلوا فيها، مع ذكر انطباعه عن كل قرية، وذكر أسماء بعض الأعلام.

ومن المشايخ الذين رافقوا الشيخ محمود في هذه الرحلة حسب الوثيقة التي اطلعني عليها المحامي محمود الشيخ ياسين من كفر اللبد، وهي من أوراق جده الشيخ عبد الغني: الشيخ أمين عبد الباقي والشيخ سليمان العابودي والشيخ عبد الغني ياسين (من كفر اللبد)، والشيخ إبراهيم سمارة والشيخ علي الكرمي (من طولكرم) والشيخ عبد القادر التفال (من ذنابه) والشيخ محمد حطاب (من سفارين)، والشيخ محمود عبد الحليم (من عنبتا).

جُل في البلاد مسافرا
متصعدا متحدرا
لا تخش من تعب ولا
سغب وكن متصبرا
واصحب لبيبا عاقلا
متفطنا متبصرا
وإذا مررت ب (عَجَّة)
فتعدّ واجعلها ورا
واحذر ضيافة أهلها
ما للضيوف بها قِرى^(١)
بخلوا بأرغفة على
أضيافهم لو بالشر^(٢)

(١) قِرى: طعام الضيف

(٢) الشر: الشراء.

لا يُدخلون بيوتهم
 ضيفا ولو دفع الكرى^(١)
 ولقد عرتهم ذلة
 وكأبة^(٢) بين الورى^(٢)
 وإذا اقتربت بأرض(حي
 نين) الوخيمة حاذرا
 واقطع فيافها كما
 قطع الحجيج محسرا
 ولأهلها صفر الوجوه
 احث التراب وعقرا
 واحذر ورود مياها
 وانهض ولا تتأخرا
 أما (مقبلة^٢) فحد

(١) الكرى : الأجره

(٢) الورى: الناس

عنها وولّ مدبرا
 واعمد ل(صندلةً) بها
 تلق الأكارم معشرا (١)
 وانزل مضافتها تجد
 خيراً بها مستحضرا
 سامر مشايخها ولا
 تطل الحديث مكررا
 حتى تكون مكرّما
 ومبجّلا وموقّرا
 واجعل مبيتك عندهم
 مستأنساً مستبشرا
 ومع الصباح فسر ولا
 تكسل ولا تخش السُرى
 عرّج على (عفولة)

(١) الشيخ محمد العمري من رجالات صندلة

واقصد هنالك عنبرا
فيه ترى أبناء (نابلس)
الشباب النيرا
كل الأصالة عندهم
والأمر لن يتعسّرا
وإذا أتيت مدينة الصلبان (١)
فاحذر ظاهرا (٢)
جربته فوجدته
متجبرا متكبرا
فضلاً غليظاً مجرماً
يلقى الضيوف مكشرا
إذ جنّته لأضيفه
فأبى الضيافة نافرا
تبّاً له ولأمه

(١) مدينة الناصرة

(٢) ظاهر شخص من الناصرة لم أتمكن من الكشف عن هويته

ولدت لئىما خاسرا
تعسا له فكأنه
في البخل شابه مادرا (١)
وإذا الرذائل كلها
عرضت عليه لها اشترى
بلد مزخرفة البنا (٢)
ملئت ظبا وجآذرا (٣)
لكن زينة أهلها
آل الفهوم (٤) بلا مرا
واقصد (كسال) تجد بها
كل الوفاء معسكرا
انزل بدار صديقنا

(١) رجل ضرب به المثل في البخل فقال العرب: أبخل من مادر

(٢) البناء

(٣) غزلان وبقر الوحش إشارة الى جمال نساء الناصرة

(٤) آل الفاهوم من أشهر عائلات الناصرة

تجد الفراش الأوثرا
الفاضل المضيف عبدالله
مرتفع الذرى (١)
واذا وصلت ل(طمرة) أو
جئت (طيبة) الثرى
فانزل بأيهما أردت سوى
الشهامة لن ترى
جبلوا على بذل الندى
فاقوا الغمام الممطرا
وزكت روائح طبخهم
والماء يشبه كوثرا
وإذا صحوت فسر إلى
(طبرية) متبدرا

(١) الشيخ عبدالله دراوشه من رجالات قرية اكسال

وانزل بيت سعيدها^(١)
ذاك الوفي بين الورى
يلقاك في ترحابه
متهللاً ومعبّراً
ورث المكارم عن أبٍ
والصيد في جوف الفرا^(٢)
رب السماحة والندى
شهم يشابه عنترا
ولعمه المفتي استضيف
بلقائه لن تخسرا

(١) هو الشيخ سعيد الطبري من أعلام طبرية، كان عضواً في مجلس إدارة قضاء طبرية،

وفي سنة ١٩٠٠ انتخب رئيساً لمجلس بلدية طبرية. توفي عام ١٩٢٩

(٢) من الأقوال المشهورة.

عبدالسلام^(١) أخو العلا
للضيف كان مشمراً
تحكي محاسن لطفه
لطف النسيم إذا سرى
ولأهل (لوبيّة) فزر
وانزل بها متذكراً
رشدانها^(٢) من سادّة
كل يفوق غضفراً
عرب الصبيح^(٣) تهابه
فتهاب ليثا كاسراً

(١) هو الشيخ عبد السلام الطبري من أعلام طبرية، زميل وصديق الشيخ محمود في الجامع الأزهر، عمل مفتياً لطبرية من عام ١٨٧٤-١٩٠٨، وكان الشيخ محمود مفتياً في قضاء بني صعب في تلك الفترة.

(٢) رجالها من آل رشدان عائلة من أشهر عائلات لوبيّة

(٣) عرب الصبيح قرية بين الشجرة وكفر كئنا

وانزل ب حيفا ولتكن
من أهلها متحذرا
نم ليلتين بها وقم
من غير أن تتكدرا
واركب على عجل وأب
لله ربك شاكرا
وإذا وصلت الأهل صف
ما قد لقيت مخبرا
عن رحلة لبديّة
ما مثلها أبدا ترى
لم ألق من مكروها
شيئا يسيء الخاطرا
غير الذي قدمته
لك ذاكرا ومحبرا

الشيخ محمود في الإدارة والقضاء

ورد في الجزء الثالث من كتاب تاريخ جبل نابلس والبلقاء لمؤلفه إحسان النمر من مدينة نابلس، وفي صفحة ١٨: إن الإدارة التركية في أواخر عهدها شكلت مجلساً ليساعد المتصرف في إدارة شؤون المنطقة، وقد أطلق عليه اسم مجلس الشورى، ثم تحول إلى مجلس الإدارة، وقد اختير أعيان يمثلون قضاء السلط وأعيان يمثلون قضاء نابلس، وأعيان يمثلون قضاء جنين، وأعيان يمثلون قضاء بني صعب في منطقة طولكرم. وكان من أعيان قضاء بني صعب ست وعشرون شخصية وهم: يوسف الناشف ومحمد الحسين والحاج إبراهيم إسماعيل ومحمد أبو هنطش وحامد الناشف وعبد الرحمن العبدالله وعيسى البرقاوي وعبد الرحيم الجيوسي وإبراهيم الجيوسي والشيخ إبراهيم سمارة ومحمود العبد الحليم وعبد الجبار الإعمار

وأحمد هلال ومصطفى القبيج وعبد الحميد الناشف
ومحمد حنون وعبد الله الإعمار وحامد أبو الرب
وأبراهيم خليل والشيخ نجيب عبد المنان وأحمد حمد
الله وأسعد العموص وذيب عبد القادر القعدان وعبد
الله الزامل وقاسم أبو الصيصان.

وهكذا يتضح أن ثلاثة من شخصيات عنبتا كانوا
أعضاء في مجلس إدارة قضاء بني صعب على النحو
التالي^(١):

- الحاج مصطفى القبيج عضو مجلس إدارة عام

١٨٨٦، ١٨٨٧ و١٨٩٤

- أحمد الحمد الله عضو مجلس إدارة عام ١٩٠٢

و١٩٠٦ و١٩٠٨

(١) عنبتا في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء نصار

- الشيخ محمود عبد الحلیم عضو مجلس إدارة

عام ١٩٠٣ و ١٩٠٤ و ١٩٠٩

كما تشكلت محكمة بداية قضاء بني صعب المكونة

من رئيس بالإضافة إلى عضوين مميزين ينتخبون لمدة

سنتين، وكان من أعضاء المحكمة أربعة من أبناء عنبتا

وهم^(١):

- الحاج مصطفى القبيج عضو محكمة بداية بني

صعب عام ١٨٨٩-١٩٩١

- الشيخ محمود عبد الحلیم عضو محكمة بداية

بني صعب عام ١٩٠٢-١٩٠٤

- الشيخ محمد الحاج نصار عضو محكمة بداية

بني صعب عام ١٩٠٤ و ١٩٠٦ و ١٩٠٨

(١) عنبتا في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء نصار

- الشيخ إسماعيل عبدالله إسماعيل عضو

محكمه بداية بني صعب عام ١٩١٦-١٩١٨

كان الشيخ محمود يؤمن كل الإيمان بأن الذي
ضيع الإسلام هم الحكام الظالمون، والمشايخ
الجاهلون، والقضاة الفاسدون، ولذلك كان يشكل
ثورة على القضاة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله،
ويستبدلونه بأحكام جائرة ترضي ذوي النفوذ واصحاب
المصالح والأغنياء مقابل رشوة يدفعونها لهم.

وعندما عين قاضيا، كان مضرب الأمثال في توجيهه
لإنصاف المظلومين، وإحقاق الحق لأصحاب الحق،
وكان شديداً في هذا الأمر، ولا يحسب حساباً لأحد مهما
كان شأنه، ومهما كان موقعه. وفي فترة زمنية عرف عن
قاضي من قضاة بني صعب أنه كان يأخذ الرشا،
فسخر منه الشيخ محمود قائلاً:

قاضي بني صعب ارتشا

من شأنه أخذ الرشا

حَنَجْنُ له بدرهم

تفعل به مهما تشا

وفي حادثة أخرى، كان قد عُيِّن قاضٍ لمدينة جنين،
عرف باستبداده وظلمه، فكرهه أهل جنين وضمروا له
العداوة، وبينما كان سائراً في أحد الشوارع أُلقيت عليه
من أحد المنازل كومة من القمامة والقاذورات، وصار
الناس يتندرون بهذه الحادثة، وقال الشيخ محمود في
ذلك:

وفي جنين قاضٍ مستبدٌ
لديه من حماقه ما لديه
إذا ما سار يوماً في طريق
ترى الأوساخ قد قُذفت عليه
فلا عجبٌ فقد قالوا قديماً
شبيه الشئ منجذب إليه
وهنا لابد من القول بأن الحكومة التركية طمست
الشخصيات التي تخرجت في الأزهر ولم تعطهم بالاً،
ولكنها فطنت لهم في أواخر عهدها، فعهدت إليهم

بمناصب الإدارة والقضاء، وهذا ما حصل للشيخ
محمود الذي تخرج في الأزهر عام ١٨٥٩، وتسلم عمله
عضواً في محكمة بداية بني صعب عام ١٩٠٢.

بني صعب قضائي			
[صنف ٢]			
(مأمورين قضا)			
قائم مقام توفيق بك		(ثانيه)	
نائب محمد توفيق اقدى		(رؤس)	
		مال مدبري نمان اقدى	
		تحريرات كاتبي سلمان اقدى	
(مجلس ادارة قضا)			
رئيس		اعضای متخبه ابراهيم ساره اقدى	
قائم مقام بك		» محمود عبد الحليم اقدى	
اعضای طبيه نائب اقدى		» عبد الجبار العمر اقدى	
» مال مدبري اقدى		» احمد هلال اقدى	
» تحريرات كاتبي اقدى			
(محكمة بدايت)			
رئيس		باشكاتب عمر اقدى	
نائب اقدى		مستطق معاوني فارس اقدى	
اعضا			
محمود جنون اقدى			
محمد حاجي نصار اقدى			

سالنامه ولاية بيروت، ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م، ص ٢٤١

بنو صعب

إن بلاد العرب والمسلمين كانت وما زالت محط
أطماع الدول الاستعمارية بسبب تمتعها بموقعها
الجغرافي الممتاز، حيث إنها ملتقى قارات العالم القديم
آسية وإفريقية وأوروبة، ومعنى هذا أن موقعها ربط
الغرب بالشرق، فقامت الدول الاستعمارية وعلى رأسها
فرنسا وبريطانيا والمانيا والبرتغال وغيرها بالحملات
الصليبية على مدى قرنين من الزمان، وذلك لبسط
نفوذها وهيمنتها على بلاد العرب والمسلمين لتضمن
مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية.

ولما استفحل الخطر هب القائد الإسلامي الشهير
صلاح الدين الأيوبي ووقف بكل حزم في وجه هذه
الحملات، فقد كان جيشه في البداية صغيراً، فدعا كل
العرب والمسلمين للمشاركة في محاربة الصليبيين
الطامعين في أرض العرب، فلبّى العرب والمسلمون دعوة

صلاح للجهاد، وكان ممن لبّى هذه الدعوة قبيلة بني صعب التي خرجت من بلاد نجد في الجزيرة العربية، ورفعت راية الجهاد، وشاركت باستبسال في معركة حطين التي انتصر فيها العرب والمسلمون على الصليبيين.

إن بني صعب القادمين من الجزيرة العربية انتشروا في عدة أماكن في القتال، ومن هذه الأماكن منطقة طولكرم، حيث قام صلاح الدين الأيوبي بإسكانهم في ٢٨ قرية، عرفت باسم الصّعبيات، وقد عرف عن أبناء هذه القبائل بأنهم صعباب وأشداء في محاربة الصليبيين. ومن الجدير بالذكر أن أحد الضباط الإنجليز ألف كتاباً عن ذكرياته في فلسطين عامة، وعن طولكرم خاصة، فأشار إلى اهالي منطقة طولكرم، ووصفهم بأنهم بنو المصاعب أي أهل الصعوبات والمشكلات في وجه الدولة، واعترف في نفس

الوقت بأن أهل منطقة طولكرم تفوقوا على بقية
المناطق في الناحية العلمية^(١).

(١) الشيخ سعيد الكرّم، سيرته العلميّة والسياسيّة لمؤلفه عبد الكريم الكرّم

أهل عنبتا جبروا الفقوسة

من طريف ما يروى عن أهل بلدة عنبتا بين أهالي القرى المجاورة أنهم (جبروا الفقوسة)، وكثيراً ما يتندر أهل المدن والقرى بهذه الحكاية. وأصل الحكاية كما رواها لي عمي الشيخ رفيق هو: بينما كان المزارعون من أهل عنبتا يجمعون ثمار الفقوس من حقولهم في أرض السهل المحاذي للشارع الرئيسي غرب البلدة ويجهزونها للبيع في طولكرم ونابلس، مرّ بهم الشيخ محمود على حماره وهو ذاهب إلى عمله في طولكرم حينما كان عضواً في محكمة بداية قضاء بني صعب، وذلك في يوم من أيام عام ١٩٠٢، فدعوه أن يعرج عليهم لمسألة مهمة، فلما وصل إليهم سأله كرجل متنور في كل أمور الحياة، وهم البسطاء: ماذا نفعل بهذه الكميات من الفقوس المكسر والمقسوم؟ فأشار عليهم -وهو الشيخ الساخر وصاحب المقالب والنوادر- أن يأتوا له

بمجموعة من الأعواد الرفيعة من الحطب، فجمع كل نصفين بعود مع شيء من التهذيب بالسكين لإخفاء آثار التجبير، فراقت لهم الفكرة، وعملوا برأي الشيخ، وطلب منهم أن يسوّقوا هذه الكميات المجبرة إلى نابلس وطولكرم، وما هي إلا ساعات حتى انكشف أمرهم من قبل الزبائن الذين اشتروا الفقوس من أصحاب الدكاكين وأصبحوا حديث الناس، وبذلك عرف عن أهل عنبتا أنهم هم الذين جبروا الفقوسة. وقد كانت هذه الحكاية من حكايات التندر التي استغلها مشايخ نابلس عند لقاءهم بالشيخ محمود، فيرد عليهم الشيخ محمود: نعم نحن الذين جبرنا الفقوسة بذكائنا، وضحكنا عليكم. ومنذ ذلك الوقت والناس في منطقتنا تردد: أهل عنبتا جبروا الفقوسة.

وعلى هامش عنوان أهل عنبتا جبروا الفقوسة، أسوق هذه الحكاية:

أرسل لي الأستاذ عبد الكريم كنعان صورة لكومة
كبيرة من الفقوس الذي جمعه من مقثاته، وعلق عليها
كاتباً أهل عنبتا جبروا الفقوسة، فرددت عليه بهذه
الأبيات:

هي المقثاة يا عبدالكريم
تُذكرنا بتاريخ قديم
أدام الله نعمته عليكم
ودام الجني من هذا النعيم
عنبتا كانت الأولى بزرع
مقاثها من النوع السليم
هو الفقوس جبرناه حقاً
فصار يباع بالشكل القويم
وهذا الفعل كان به نبوغ
أتى والله من شيخ حكيم
هو المحمود شيخ ذو دهاءٍ
مقالبه ذكاء في الصميم

توسعة مسجد عنبتا

في عام ١٩٠٧ ميلادية تنادت فئة كريمة من رجالات عنبتا ممن يغارون على بلدتهم، ويعملون على نهضتها ورقمها، ومن الذين يشعرون بلذة العبادة في بيت الله، ويحرصون على أداء الصلوات في أوقاتها مع الإمام، ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله، من أجل توسعة المسجد، فتشكلت لجنة برئاسة الشيخ محمود ومعه الحاج مصطفى القبيج، والشيخ إسماعيل عبد الله، والشيخ محمد الحاج نصار، والشيخ محمد جاد الله، فهو مسجد عمري صغير جرى عليه عدة مراحل من التوسعات عبر التاريخ. ونجحت اللجنة في ذلك بعد أن نشطت بجمع التبرعات، فهب الأهالي من رجال وسيدات للتبرع. وأصبح المسجد يتسع لعدد كبير من المصلين.

وفد نظم الشيخ محمود أبياتاً من الشعر ما زالت
منقوشة بخط جميل فوق أحد ابواب المسجد
الداخلية، وستبقى خالدة مع خلود المسجد.

عنبتا بها قد قام لله مسجد
بأنواره حقاً غياهما تجلى
فلا زال معموراً بذكر إلينا
مصاناً وآيات القرآن به تُتلى
هنيئاً لمن يأتيه في غسق الدجى
يصلي به نفلاً ويرجو رضى المولى
ولما انتشا أنشا مورخه ويا

لله ما اعالى ولله ما أحلى
ومن ناحية أخرى أرى أن لا بد من أن أذكر ما جاء
في كتاب تاريخ جبل نابلس والبلقاء/ الجزء الثالث/
لمؤلفه إحسان النمر، وفي صفحة ٩٢ ما يلي: بتبرعات
من أهالي عنبتا، وبمساهمة المجلس الإسلامي الأعلى،

بنيت مئذنة لمسجد عنبتا عام ١٩٣٨، وأشرفت على
 بناء المئذنة لجنة مكونة من السادة: حافظ الشيخ
 محمود، والشيخ محمد العورتاني، والمختار ذيب أبوريا،
 والحاج مصطفى اليوسف جاد الله.



الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني

ولد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٤٢ وتوفي عام ١٩١٨، وهو من جيل الشيخ محمود تقريبا، وقد حكم من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٩٠٩، ويكون بذلك قد حكم ٣٣ عاماً. وقد كثرت المؤامرات الداخلية والخارجية على السلطان عبد الحميد مما أدى إلى الإطاحة به، فقد قرر البرلمان العثماني خلعه ونفيه إلى مدينة سلونيك في اليونان، وتولّى أخوه محمد رشاد (محمد الخامس) الحكم من بعده، حيث حكم من ١٩٠٩-١٩١٨.

وقد عاصر الشيخ محمود السلطان عبد الحميد في أوج السنين التي حكم فيها، واعتبر الشيخ محمود الإطاحة بالسلطان عبد الحميد هو بداية الإطاحة بالدولة العثمانية كلها. وبمناسبة خلع السلطان عبد الحميد والإطاحة به قال الشيخ محمود هذه القصيدة:

يا قصر يلدز^(١) أهل الملك قد كانوا
بالأمس فيك وعنك اليوم قد بانوا
وفي سلانيك^(٢) قد حطت رحائلهم
يحيط موكبهم جند لهم شان
عبء الخلافة أعياهم وأتعيم
وللحوادث أشكال وألوان
قد قرّر الخلع نواب الورى علنا
ووافقهم على التقرير أعيان
وجاء واسطة التبليغ^(٣) ينذره
قد صرت نسيا وما للعود إمكان
فسلّم الأمر واختار الرضى بأخ
وفي الحقيقة كل الناس إخوان

(١) يلدز: قصر تركي عظيم اتخذه السلطان عبد الحميد مقرأ له، ومعنى يلدز النجم

(٢) سلانيك: مدينة يونانية نفي إليها عبد الحميد

(٣) واسطة التبليغ: هم قواد الانقلاب ضد عبد الحميد (نيازي وأنور)، حيث دخلا عليه وأبلغاه التنحية والإطاحة به.

فيا مكبًا على الأموال تجمعها
أقصر عناك فذاك الريح خسران
فأين من ملك الدنيا بأجمعها
وأين أين ابن داود سليمان؟
وكان الشيخ محمود عندما نظم هذه القصيدة
استخضر قصيدة (ابو البقاء الرندي) في رثائه
للأندلس، فهي احتذاء تام لقصيدة الرندي في البحر
العروضي والوزن والقافية والروي والجرس الموسيقي
والمعاني والعواطف. وهذا يدل على ثقافة الشيخ
محمود العالية ومعرفته بالآداب السابقة، إلى جانب
هذا إنها وقفة تاريخية مهمة سجلت حدثاً مهماً في تاريخ
حكم الأتراك.

وهذه بعض أبيات قصيدة الرندي:

لكل شيء إذا ما تمَّ نقصانُ
فلا يغرَّ بطيب العيش انسانُ

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ
من سرّه زمن ساءته أزمانُ
وهذه الدار لا تُبقي على أحدٍ
ولا يدوم على حالٍ لها شأنُ
أينَ الملوكُ ذوو التيجان من يمنٍ
وأينَ منهم أكاليلُ وتيجانُ
وأينَ قرطبةُ دارُ العلوم فكُم
منَ عالمٍ قدسما فيها له شأنُ
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
واليومَ هم في بلاد البغي عبّدانُ
لمثلِ هذا يذوبُ القلب من كمدٍ
إنْ كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

الشيخ محمود و أفقه السياسي والوطني

كان الشيخ محمود لديه حماسة كبيرة للعروبة والإسلام، وكانت فلسطين هي القضية القومية التي كانت الشغل الشاغل للمشايخ في اجتماعاتهم وللشعراء في لقاءاتهم أواخر العصر التركي، فقد بدؤوا يستشعرون بالخطر القادم الذي يتمثل في أطماع الصهيونية في احتلال فلسطين، والاستيلاء عليها. ورغم اضطهاد الأتراك للعرب، ظل الشيخ محمود موقناً بأنهم أفضل ألف مرة من المكائد والمؤامرات والتهديدات التي تلوح بها بريطانيا ومعها الصهيونية لاحتلال فلسطين.

ولذلك كان موالياً للأتراك كل الموالاة، مع أن له مآخذ كثيرة عليهم ومؤيداً للسلطان عبد الحميد (١٨٤٢-١٩١٨). وقد تزامن هذا مع ظهور الحركة الصهيونية التي هدفها إنشاء وطن قومي لليهود في

فلسطين، وأدرك السلطان عبد الحميد ذلك، فوقف بكل حزم ضد هذه الفكرة. وقام هيرتزل زعيم الحركة الصهيونية بزيارة اسطنبول عدة مرات لعرض مطلبه على السلطان عبد الحميد، مقابل مبالغ طائلة، ولكن السلطان عبد الحميد كرر رفضه بقوة، وقال قولته المشهورة: (إنني لن أسير في هذا الأمر، ولا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي، ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقه دمائهم، وقد غدّوها فيما بعد بدمائهم وسوف ندافع عنها بدمائنا ولا نسمح لاحد باغتصابها منا).

ولكن هيرتزل ظل ملحاً في طلب شراء فلسطين، فدفع مبالغ أكثر لعل السلطان يلين ويسمح ببيع فلسطين، فقدم خمسه ملايين ليرة ذهبية، ولكن السلطان عبد الحميد ظل ثابتاً على موقفه. إن هذا الموقف المشرف الذي وقفه السلطان عبد الحميد

والذي يسجل له بكل فخر مدى التاريخ جعل عدداً كبيراً من سكان فلسطين وسائر الدول العربية ومن كل المستويات أن يحترموا السلطان ويقدروا موقفه ويقفوا مؤيدين له.

وكان الشيخ محمود على رأس المؤيدين للسلطان خاصة، وللعهد العثماني عامة، وكان رأيه في هذا هو أن العرب أكبر الخاسرين إذا سقطت الدولة التركية، لأن العرب لا يملكون القوة الكافية لصد هجمات العدو البريطاني والفرنسي من جهة، ولن يكونوا قادرين على مجابهة الصهيونية من جهة أخرى، وإن استرداد حقنا في فلسطين من الأتراك لكونهم مسلمين أسهل بكثير من استرداده من المستعمرين الأوروبيين إذا احتلوا بلادنا.

ولذلك عرف عن الشيخ محمود في خطبه في المساجد وفي جلساته مع ذوي الرأي أنه كان ينذر

ويحذر من ضياع فلسطين، وبضياعها يضيع مجد العرب وعزة العرب وكرامة العرب، وكان يكرر بأسلوبه الساخر: (أخشى من العرب أن يقسموا الذي لم تقسمه سايكس بيكو، وإن الأيام القادمة ملأى بالضباب، وأرى القادم لا يبشر بالخير) ولو قام الشيخ من قبره، وعاد إلى الدنيا لوجد كل ما كان يتخوف منه ويحذر منه أصبح واقعاً.

وما اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور إلا شاهدان على المؤامرة الكبيرة التي أدت إلى احتلال فلسطين وتهجير شعبها، وما آلت إليه فلسطين منذ ذلك الوقت إلى الآن من ضياع ودمار وخراب لدليل صحيح على رأي الشيخ محمود وأمثاله العقلاء.

ومن هنا نرى أن الشيخ محمود كان على حق بتأييده للسلطان عبد الحميد، وهذا ينسجم انسجاماً تاماً مع قولة المفكر الإسلامي والناشط السياسي جمال

الدين الأفغاني في حق السلطان عبدالحميد: "إن السلطان عبد الحميد لو وُزّن مع أربعة من نوابغ رجال عصره لرجحهم ذكاءً ودهاءً وسياسة ووطنية".

وهناك عدد من قادة الحركة الأدبية والوطنية كان لهم شديد الولاء للدولة العثمانية وللسلطان عبد الحميد، وعلى رأسهم من مصر عبد الله فكري وعبد الله النديم ومصطفى كامل وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري ومصطفى الرافعي، ومن لبنان أحمد فارس الشدياق وشكيب أرسلان، ومن فلسطين موسى كاظم الحسيني.

انتخابات أعضاء المجلس التمهيدي الثاني

لمجلس المبعوثان عام ١٩١٢

في ناحية عنبتا (١)

تم تقسيم قضاء بني صعب إلى عشر نواح، فكانت قرية عنبتا رأس ناحية تقع تحت رئاسة الحاج مصطفى أفندي القبيج، والمفتش إسماعيل أفندي العبدالله، ويجتمع بها الناخبون من أهالي بلعا وكفررمان وشويكة، ومجموعهم (١٣٣٩) ناخبا يحق لهم أن ينتخبوا ثلاثة أعضاء من أصل ثمانية عشر عضوا في كامل قضاء بني صعب ممن يحق لهم انتخاب أعضاء مجلس المبعوثان.

تم إجراء الانتخابات التمهيدية بتاريخ ٢٤ آذار عام ١٩١٢، وترشح لها اثنا عشر مرشحاً للمنافسة على

(١) عنبتا في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء نصار

ثلاثة مقاعد، وكانت نتائج من حصلوا على الأكثرية على
النحو التالي:

- الحاج مصطفى القبيج (عنبتا) ٦١٦ صوتا
 - الشيخ محمود عبد الحليم (عنبتا) ٤٧٨ صوتاً
 - الشيخ محمد الحاج نصار (عنبتا) ٤١٩ صوتا
- وقد وردت هذه المعلومات أيضاً في كتاب
(الانتخابات في فلسطين في أواخر العصر العثماني) من
تأليف د. عبد الرحمن سميح إبراهيم و د. محمود
سعيد الأشقر و د. زهير غنايم.

المضافة وتاريخها

تكرر ذكر المضافة في هذا الكتاب، وأجيال اليوم لا تعرف شيئاً عنها، فرأيت أن ألقى الضوء على تاريخها. مضافة عنبتا بيت تقليدي كبير وقديم يقع في حارة دار ملحمة مقابل بيت المرحوم جميل الصوص. ولا أدري لماذا آل إلى اسرة المرحوم عبدالرحيم عبيد بعد أن فقدت المضافة وظيفتها وأهميتها، هل اشتروه؟ أم هو أصلاً لهم؟ لم أجد من يجيبني عن هذه الأسئلة.

واسم المضافة يدل على الهدف من إقامتها، وهو استقبال الضيوف الغرباء وإيواءهم وتقديم الطعام والشراب والشاي والقهوة لهم، لذلك كان في المضافة فراش وأغطية وخدمات، ويشرف على كل هذا شاب يقوم على رعايتها أحسن رعاية.

وُجدت المضافة في عنبتا قبل عام ١٨٥٠ ميلادي، ولم يكن في عنبتا في ذلك الوقت مؤسسات عامة، فاعتبرت المضافة هي المكان العام الذي يخص جميع أبناء البلدة، ففيها يجتمع الرجال للتسلية وقضاء وقت الفراغ، أو لمناقشة شؤونهم وحل نزاعاتهم، واتخاذ القرارات، واستعراض المواسم الزراعية، وكانت تستغل لإقامة المناسبات الاجتماعية كالخطوبة والزواج وبيوت العزاء.

واتخذت المضافة مكاناً لتعليم الكتّاب لسنوات طويلة إلى أن افتتحت أول مدرسة ابتدائية عام ١٩٢١ حيث توقف تعليم الكتّاتيب، وفي فترة زمنية قامت المضافة بدور المدرسة، فقد ذكر والدي رحمه الله (من مواليد ١٩١٠) أنه درس الصف الأول في المسجد القديم، ودرس الصف الثاني والثالث في المضافة، ودرس الصف الرابع في المدرسة الحكومية التي اقيمت

عام ١٩٢١ في بداية افتتاحها، وهكذا توقف التعليم في المسجد والمضافة. كما استغلت المضافة في وقت مضى ليكون فيها أول مجلس محلي في عنبتا عام ١٩٢٢ برئاسة المرحوم يوسف مصطفى القبيج ولمدة سنتين. ثم انتقل المجلس المحلي إلى دار المرحوم يوسف جابر عدس برئاسة المرحوم فريد الحمد الله ولمدة سنتين، ثم ترأس المجلس المرحوم محمد موسى حجاز من عام ١٩٢٦ إلى عام ١٩٣٢.

وفي بداية عام ١٩٣٤ تأسس أول ناد في عنبتا أطلق عليه اسم نادي عنبتا الرياضي، واتخذ من المضافة مقرا له، وكان من أوائل النوادي التي تقام في القرى الفلسطينية، وقد تشكل النادي من الأعضاء رفيق الحمد الله سكرتيرا، راتب الشامي أميناً للصندوق (من طولكرم وكان في ذلك الوقت مديراً للمدرسة)، حيدر سعيد محاسباً، وراسم كمال عضواً، شريف القبيج

عضوًا، موسى الحاج قاسم عضوًا، أمين عورتاني عضوًا. وقد مارس الشباب نشاطات رياضية وثقافية، ففي المجال الرياضي كان الشباب يمارسون لعبة كرة القدم على البيادر، ومن هؤلاء الرياضيين: طاهر عبد الكريم بركات، موسى الحاج قاسم، عبد الكريم الطوس، أحمد نصار بركات، عبد الكريم نمر بركات، إبراهيم بكر مزيد، عبدالرحيم حنون، حسين عبدالله حجاز، عبدالرحيم أبو العون، عبدالرحيم مرعي، عبدالرحم محمود (أصغرهم سنًا).

وفي المجال الثقافي كان في النادي مكتبة جيدة، تدل على المستوى الثقافي الذي يتمتع به ذلك الجيل، ومارس أعضاء النادي وكل من زار النادي هواية القراءة عن طريق استعارة الكتب، إلى جانب إلقاء المحاضرات الثقافية والندوات الأدبية التي يشرف عليها المتعلمون والمثقفون، ويحضرها شباب ورجال من مختلف

الأعمار. وقد نشرت جريدة اللواء الفلسطينية بتاريخ ١-٣-١٩٣٦ خبراً يؤكد نشاط نادي عنبتا الرياضي عام ١٩٣٦. وقد ظهر في هذا الخبر أسماء أربعة أعلام من أعلام عنبتا رحمهم الله جميعاً وهم: رفيق الحمد الله وفارس حسين سبويه وأحمد عبد القادر حامد والشاعر عبد الرحيم محمود، أما الخبر كما جاء في الجريدة فهو بعنوان:

محاضرات قيمة في النادي الرياضي في عنبتا

دعت هيئة النادي الرياضي في عنبتا وجوه وأعيان ومشايخ وشباب البلدة لسماع محاضرات قيمة دينية واجتماعية يوم الاربعاء في النادي الرياضي من قبل المعلمين في البلدة، وقد لبي الدعوة جميع من دُعي، وافتتح الحفلة السيد رفيق الحمد الله سكرتير النادي بكلمة شكر، ثم قام الاستاذ فارس أفندي حسين سبويه وألقى محاضرة قيمة موضوعها الصحة العامة،

وتبعه الاستاذ أحمد أفندي الحامد بمحاضرة
موضوعها التعاون، فالاستاذ عبد الرحيم أفندي
محمود بمحاضرة قيمة موضوعها الزكاة. وقد قبلت
هذه المحاضرات بإعجاب كبير، وبعد الانتهاء اقترح
سكرتير النادي والمحاضرون المذكورون أن يتبرع
الحاضرون بزكاة صيامهم لترسل باسم النادي الرياضي
لعائلات الشهداء الأبرار، فبارك الله برجالنا العاملين،
واكثر الله من أمثالهم.

جريدة اللواء ١٩٣٦/١/٣

وهكذا تكررت المحاضرات والحفلات والاجتماعات
التي تهدف إلى تعزيز الروح الاجتماعية بين الناس، ودفع
الروح الوطنية إلى الأمام، وتوعية المواطنين بما يجري
على ساحة الوطن. وقد لعب الشاعر عبد الرحيم
محمود دوراً إيجابياً، فكان يدعو أصدقاءه الشعراء من

خارج عنبتا لإلقاء قصائدهم في النادي بحضور جمع كبير من الأهالي.

وعندما ساءت الأحوال في فلسطين بعد إضراب عام ١٩٣٦ أغلق النادي أبوابه، وتوقف نشاطه، وقام المسؤولون بتقديم مافيه من كتب إلى مكتبة مدرسة عنبتا، ولا تزال الكتب موجودة حتى الآن، وعليها ختم النادي الرياضي في عنبتا باللغة العربية والانجليزية.

وهكذا ظل للمضافة شأن كبير حتى نهاية الثلاثينات من القرن الماضي، وفي مطلع الأربعينيات بدأ ظهور المقاهي حيث افتتحت خمسة مقاه، وأغلقت المضافة أبوابها.



السفر برلك والحرب العالمية الأولى

السفر برلك كلمة تركية معناها إجبار الناس على السفر لغرض التهيؤ للحرب، وهو ما نسميه اليوم بإعلان النفير العام أو التجنيد الإجباري، وهذا النفير العام هو قرار أصدره السلطان العثماني محمد رشاد في شهر آب عام ١٩١٤ بمناسبة نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، ويدعو القرار إلى تجنيد الرجال الذين بلغت أعمارهم من ١٨-٦٠ سنة من رعايا الدولة العثمانية والتحاقهم بالخدمة العسكرية. دخل العثمانيون الحرب ومعهم ألمانيا والنمسة والمجر ضد الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا وبلجيكا واليابان، وشاركت عنبتا في السفر برلك، فقد جاءت قوة من الجيش العثماني إلى عنبتا، وطلبوا مقابلة لجنة من زعماء البلدة، فكانت اللجنة من الشيخ محمود عبد

الحليم وأحمد الحمد الله ومحمد الحاج نصار
والمختارين سعيد عبدالله عمر وجابر العموري، وقام
ضابط القوه بتبليغ اللجنة أنّ على كل الرجال ما بين
١٨ و ٦٠ سنة أن يستعدوا للسفر من أجل المشاركة في
الحرب، فتكلم الشيخ محمود باسم اللجنة مع الضابط
المسؤول، وأقنعه بأن عنبتا بلد مسالم، وكل أهاليها
معكم ويؤيدونكم، فلا داعي لمن عمره فوق الخمسين
أن يشارك في الحرب، واكتفوا بمن هم دون الخمسين.
اقتنع الضابط ووافق، وقد تجمع الرجال المكلفون على
البيادر تحت حراسة الجنود الأتراك، ثم ساقوا الرجال
إلى جهات مجهولة، عُرفت فيما بعد: إلى قناة السويس
وإلى دول أوروبية ودول عربية، على أثر هذا خلت عنبتا
كسائر المدن والقرى من الشباب ولم يبق فيها إلا كبار
السن والنساء والأطفال، فتعطلت الحياة وقلت الأيدي
العاملة، وقامت النساء بالأعمال الزراعية، وقلّت المواد
الغذائية، وارتفعت الأسعار، وضاق عيش الناس.

حزن الناس وتألّموا على ذهاب الشباب إلى الحرب، وفقدوا الأمل في عودتهم، فكانوا يرددون إن الذهاب إلى هذه الحرب مفقود والعائد منها مولود. ولم تقف الأمور إلى هذا الحد، فقد وضع الأتراك يدهم على كل أصناف التموين الغذائي من سكر وأرز وطحين وخضار وفواكه ولحوم وكاز لتكون في صالح الجيش التركي، فانقطع الكاز، وصار الناس يضيئون المصابيح بالسيرج وزيت الزيتون، ولجأوا إلى أكل خبز الشعير والذرة وقشر البرتقال وقشر البطيخ، وقد شاءت الأقدار أن تتعرض فلسطين لمصيبة أخرى. ففي شهر آذار عام ١٩١٥ غزا الجراد فلسطين، واستمر في غزوه سبعة أشهر، فقد كان الجراد يأتي في موجات متتابة، مما تسبب في هلاك جميع المحاصيل النباتية، وقد أطلق الفلسطينيون على هذا العام سنة الجراد، وأصبح هذا الاسم يُردّد في الذاكرة الفلسطينية الشعبية، وقد عانى الفلسطينيون عناءً كبيراً من ذلك العام بسبب

خسارتهم مصادر رزقهم وعيشتهم، وهذا ساهم في ارتفاع الأسعار، مما جعل الناس يعيشون في تقشف شديد في ظل هذا الفقر القاسي، إلى جانب الخوف والذعر والفرع والهَمّ بسبب الحرب أولاً، وبسبب انتشار الجراد ثانياً، وجاء ثالثاً وقوع عدة أمراض وتفشي الأوبئة وخاصة الكوليرا عام ١٩١٦، وقد راح ضحية الكوليرا عدد كبير من الناس.

في هذه الأجواء لعب الشيخ محمود دوراً إرشادياً في خطب الجمعة، أو بإعطاء درس ديني بعد الصلوات أو في المجالس العامة، فقد كان يحث الناس على التعاون والصبر والاقتصاد، وحسن الإدارة والتدبير المنزلي من أجل أن يتغلبوا على الفقر الذي فرضته ظروف الحرب، وانتشار الجراد وتفشي الكوليرا. وكان يحثهم على الإيمان واحتساب أمواتهم عند الله، فمنهم من مات في الحرب، ومنهم من مات بالكوليرا.

كان الأهالي يصغون لما يقوله الشيخ محمود،
ويعتبرونه الكلام الشافي والمعقول، ويثقون به كل
الثقة، لأنهم يعتبرونه الرجل المتنور، والعارف والمدرّك
لكل أمور الحياة. وقد اعتادوا على استشارته في كل
أمر حياتهم، فيجدون عنده الجواب الصائب والحل
المرجو والمأمول. وكم كانت تطلق على ألسنتهم عبارة:
قال الشيخ محمود ... قال الشيخ محمود ... فمقولة
الشيخ محمود صحيحة وصادقة وموثوق بها. وفي
حياتهم اليومية كانت تعترضهم أمور تحتاج إلى حل،
فيقول الرجال وتقول النساء: اسألوا الشيخ محمود ...
اسألوا الشيخ محمود ... اسألوا العالم

دهاء الشيخ محمود

في عام ١٩١٥ عينت الحكومة التركية جمال باشا السّفاح، حاكماً على بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن)، وأصبح الحاكم المطلق، وتعامل بقسوة شديدة مع رجال البلاد الوطنيين والمثقفين، وأعدم عدداً منهم.

وعلى إثر هذا حصل في منطقة نابلس ثورة وتمرد على سياسته، فأرسل قائداً من قواده إلى منطقة نابلس، فاتبع أسلوباً قاسياً في التعامل مع أهل القرى والمدن التي مر بها. وحدث أن مرّ بعنبتا واتخذها مركزاً لجنوده، وصادف أن أحد الشباب من أهالي البلدة قام بسرقة (صاقو) بمعنى بالطو من أحد الجنود المقيمين في البلدة، فرفع شكوى للقائد ضد أهالي عنبتا. فأمر القائد بجمع رجالها على البيادر، فقام الشيخ محمود بإلقاء قصيدة أمام القائد التركي مما جعله يعفو عنهم.

وبذلك يكون الشيخ محمود بدهائه ولباقته قد خلص
أهالي بلده من عقوبة قاسية. أما القصيدة فلم نعرف
منها إلا هذه الأبيات:

أهلاً بمن شرفوا كي ينصروا الدينا
ويقهروا فئة حلت فلسطينا
تشریفکم اکسب الأوطان بهجتها
ومكن الأمن في البلدان تمكيننا
كم البلاد بكم طابت وكم سعدت
فواحد منكم يكفي ثمانينا

تعليم أبنائه

إن الشيخ محمود الذي تخرج في الأزهر الشريف ذاق طعم العلم وأدرك أهميته، ولذا حرص على أن يكون أبنائه متعلمين بقدر ما يتاح لهم في تلك الظروف القاسية، فأرسل أبنائه عارف وتوفيق ورفيق في فترات زمنية متلاحقة إلى المدرسة الدينية التابعة لمسجد البيك في مدينة نابلس، ليدرس كل منهم ثلاث سنوات يتخرج فيها حاملاً لقب الشيخ، وممنوحاً شهادة تؤهله للإمامة والخطابة والمأذونية والوعظ والإرشاد. وقد نجح المشايخ الثلاثة في أداء واجباتهم عندما عملوا أئمة وخطباء في المساجد التي التحقوا بها.

كما أرسل ابنه حمزة إلى الشام ليعود حاملاً شهادة في القضاء، وعمل في المرافعات القضائية، وبعض السنوات عمل في التعليم.

وأرسل ابنه حافظ إلى الجامع الأزهر، ولكن حافظ درس سنة واحدة، ولم يعد بسبب مرض والده، فقد أثر أن يكون بجانب والده في ظروف مرضه. أما أبنائه الصغار، فإن الله لم يكتب له مزيداً من عمر ليرى مستقبلهم، فقد توفي عام ١٩١٩، وكان كامل في الرابعة عشرة من عمره، وعبد الحليم (الثالث) في الثانية عشرة من عمره، وعبدالكريم في التاسعة من عمره، وعبد الرحيم في السادسة من عمره، ونجيب في الثالثة من عمره. إلا أنهم شقّوا طريقهم معتمدين على أنفسهم بعد أن أنهوا تعليمهم في المدارس، فعمل كامل وعبد الحليم وعبد الكريم ونجيب بوظائف محترمة في دائرة البرق والبريد والهاتف إبان حكومة الانتداب البريطاني. وأما عبدالرحيم فقد عمل معلماً للغة العربية في مدرسة النجاح الوطنية بعد أن تخرج فيها، وذلك لتميزه في الشعر واللغة.

واللافت أن جميع أبناء الشيخ محمود كان لهم
احتزام في المجتمع وكان لهم حضور في كل مجالات
الحياة، فحازوا على محبة الناس وتقديرهم والأخذ
بآرائهم.

سنواته الأخيرة

في أواخر عم ١٩١٥ استدعى ابنه الشيخ عارف^(١)، وطلب منه أن يتولى الإمامة والخطابة في المسجد بدلاً منه، قائلاً له: يا بني، إني أشعر أنني أعيش على هامش الحياة بعد أن تجاوزت الثمانين من عمري، ولم يبق لدي طاقة لتحمل مسؤولية الإمامة والخطابة، وأنا أثق بك كل الثقة، ولديك القدرة العلمية والأدبية واللغوية التي تؤهلك لهذا العمل.

انصاع الشيخ عارف لكلام أبيه، فوافق داعياً لوالده بالصحة والعافية، وهكذا ألقى الشيخ محمود نفسه من مسؤولية الخطابة والإمامة في مسجد عنبتا، إلا أنه ظل مواظباً على الصلاة في المسجد، وظل بيته مفتوحاً للضيوف، يستقبلهم بكل حفاوة وترحيب. في

(١) حديث في جلسة مع عمي الشيخ رفيق عام ١٩٦٦

سنة ١٩١٦ توفي ابنه الشاب حمزة العزيز على قلبه والقريب إلى روحه، وهو في التاسعة والعشرين من عمره، وعندما جاءه نبأ وفاته قال: الحمد لله على السراء والضراء، إنا لله وإنا إليه راجعون، وأرجو من الله أن يلهمني الصبر على فراقه، وسقطت من عينه دمعة مسحها في صمت واجم وحزن كظيم، واعتريته بعد ذلك أمراض وضعف عام.

لقد عرف عن سنة ١٩١٩ أنها سنة شديدة البرودة، وغزيرة الأمطار، وتساقطت الثلوج، وزاد ارتفاعها عن متر، وانتشرت الأمراض الصدرية بين الناس، وكثرت الوفيات، ورغم كل هذه الظروف القاسية ظل الشيخ محمود مواظباً على صلاته في المسجد، وبينما كان متوجهاً لصلاة الفجر في يوم من أيام شهر شباط من عام ١٩١٩ زلّت قدمه أمام دكان عبدالله الحاج حمد شهاب بسبب وحولة الطريق،

فوقع وانكسر حوضه، وظل مستلقياً على ظهره، ممنوعاً من الحركة لمدة شهرين، فساءت حالته الصحية، إلى أن وافته المنية في يوم الجمعة بتاريخ ١٣٣٧ / ٤ / ١٩ الموافق الثالث من رجب عام ١٣٣٧ هجرية، عن أربعة وثمانين عاماً، وصُلِّيَ عليه في المسجد الذي أمضى حياته فيه مصلياً وإماماً وخطيباً. وقد كانت جنازته مأتماً عنبتاوياً مميزاً، شارك فيها أهالي عنبتا وأهالي القرى المجاورة، وعدد من الأصدقاء والمعارف ومقدري فضله. ودُفن في المقبرة الشماليه طريق كفررمان، وقد أُنْبِئَ على المقبرة كل من السيد أحمد الحمد الله والشيخ محمد أسعد عورتاني، والشيخ عبد الغني اللبدي (كفراللبد) والشيخ عبدالقادر التفال (ذنابة).^(١)

(١) معلومه من عمي الشيخ رفيق عام ١٩٦٦

وقد حدّث الشيخ عبدالله حنون قائلاً: بعد أن مضى على عودتي متخرجاً من الجامع الأزهر ثلاثة أيام، وإذ نبأ وفاة الشيخ محمود يعم جميع الأوساط. وفي بيت عزائه في المضافة، سلّم الناس علي، وقالوا: (الحمد لله عنبنا محظوظة، فقد عوضنا الله فقد راح شيخ وجاء شيخ).

أبناء الشيخ محمود

<ul style="list-style-type: none"> - آمنة ١٨٦٢ تزوجت موسى صالح العبسة - عبد الله ١٨٦٤ مات طفلاً صغيراً 	<p>الزوجة الأولى:</p> <ul style="list-style-type: none"> - فاطمة العماوي - بلعا ١٨٦١
<ul style="list-style-type: none"> - عارف ١٨٧٠-١٩٤٤ تزوج زينب البليسي - خيزران ١٨٧٤ - 	<p>الزوجة الثانية:</p> <ul style="list-style-type: none"> - حمدة حسين علي عبد الصمد - لقبها (حمامة) لجمالها عنبتا ١٨٦٩
<ul style="list-style-type: none"> - حمزة ١٨٨٧-١٩١٦ - محمد مات طفلاً صغيراً 	<p>الزوجة الثالثة:</p> <ul style="list-style-type: none"> - شفيقة البليسي - عنبتا ١٨٨٦
<ul style="list-style-type: none"> - جميلة ١٨٩١-١٩٧٧ - توفيق ١٨٩٢-١٩٦٨ - رشيدة ١٨٩٤-١٩٨٠ - رفيق ١٨٩٨-١٩٦٩ - امينة ماتت مخطوبة لعبد الرحيم الشيخ عبد بديلة حليمة زوجة الشيخ رفيق 	<p>الزوجة الرابعة:</p> <ul style="list-style-type: none"> - علياء علي حسن العدس - عنبتا ١٨٩٠

الزوجة الخامسة:	- حافظ ١٩٤٦-١٩٠٠
- كاملة الحاج نصار -	- صديقة ١٩٣٦-١٩٠٣
عنبتا ١٨٩٨	- كامل ١٩٧٨-١٩٠٥
	- عبد الحليم ١٩٧٣-١٩٠٧
	- عبد الكريم ١٩٨٥-١٩١٠
	- عبد الرحيم ١٩٤٨-١٩١٣
	- كريمة ١٩٨٨-١٩١٤
	- نجيب ١٩٨٠-١٩١٦

لماذا اندثرت آثار الشيخ محمود؟

إن الباحث عن سيرة الشيخ محمود سيجد القليل من آثاره بين أيدينا، والتي لا تتناسب مع منزلته الدينية والأدبية والاجتماعية التي اشتهر بها.

إذن أين ذهب آثار هذا الشيخ، ولماذا اندثرت؟
الجواب عن هذا: تقع مسؤولية اندثار آثار الشيخ محمود على ابنه عارف أكبر أبنائه، فهو من مواليد عام ١٨٧٠، وعاصر والده وواكبه في كل مراحل العمر إلى أن توفاه الله عام ١٩١٩.

قلت لوالدي ذات يوم: لقد كان جدي رجل دين وعلم، وكان إماماً وخطيباً وشاعراً وقاضياً وابن الأزهري الشريف، فأين تراثه وأين كتبه وأين قصائده؟ ابتسم والدي وهو يهز رأسه وقال: لا أملك جواباً عن هذا السؤال، فقد كنت في التاسعة من عمري عندما توفي

والدي، ولم أكن أدرك أهمية هذه الأمور، ولعل تراث
والدي آل إلى أخي عارف الذي هو اكبر اخوتي، ويكبرني
بأربعين عاماً، وقد أصبح شيخاً، وسار على طريق
والدي كامام وخطيب.

قلت لوالدي: لقد دفن جدي مرتين: الأولى يوم أن
غيبه الموت، والثانية يوم أن فقد تراثه، ابتسم والدي
وقال: هو كذلك.

وفي نفس الوقت أجد عذراً لابنه عارف، فقد عاش
أياماً ثقالاً كبقية الناس يوم أن ألفت تركيا بظلالها
السوداء في زمن عم فيه الفقر والجهل، وانتقل الناس
من وضع سيء إلى وضع أسوأ، بقيام الحرب العالمية
الأولى وما تبعها من مؤامرات الاستعمار الأوروبي
والصهيونية على فلسطين، ابتداء من اتفاقية سايكس
بيكو ومروراً بوعده بلفور وسقوط الدولة العثمانية، وما
تلاها من أوضاع غير مستقرة، ثم وقوع الحرب العالمية

الثانية، وقد انعكس هذا على الأوضاع الاقتصادية الصعبة، فعاش الناس في فقر شديد، وكان الهم الأكبر لكل مواطن أن يدبر قوت عيشه.. وهذا جعل الشيخ عارف واخوته لا يولون اهتماماً لتراث والدهم، لأن هناك أشياء كثيرة أولى وأحق من الاهتمام بالتراث.

ولعل هناك أسباباً أخرى في ضياع تراثه وهي: لقد كان الاعتماد على الذاكرة في حفظ المعلومات، ولم يكن للتدوين أي اهتمام، لأن الناس أميون، ولذلك ظلت المعلومات مخزنة في الصدور لا في السطور، وتناقلتها الأجيال اعتماداً على المشافهة، وبهذه الطريقة يكون قد ضاع منها الكثير.

كما أن موت الأقرباء والأصدقاء والمعارف كان سبباً، فبموتهم ضاع كثير من المعلومات والأخبار والأحداث التي كانوا يعرفونها، والذي حصل لتراث

الشيخ محمود حصل لعدد كبير من أمثاله الشيخ
والأعلام في مختلف الميادين.

بيت الشيخ محمود

ولد الشيخ محمود وترّبى ونشأ في بيته الكائن في الحارة التحتا، وهي حارة صغيرة من حارات عنبتا ذات المباني المتلاصقة على الطراز القديم، وللوصول إلى بيته يجب أن يُسار في ممر ضيق، إذا مدّ الرجل ذراعيه جانباً لامست ذراعاها الجدار عن اليمين والجدار عن اليسار.

بيت الشيخ محمود بيت قديم عمره أكثر من مئتي عام، مبني من الحجر والطين، ذو جدران عريضة تحمي من حر الصيف وبرد الشتاء، وسقفه على شكل قوس، إنه بيت يزهو بحجارته القديمة التي أنهكتها السنوات، إلا أنه ما زال محافظاً على شموخه.

بيت الشيخ محمود معلّم من معالم عنبتا، بيت بسيط متواضع، ليس مجرد جدران وأرضيات وأبواب

وشبابيك بل بيت كان مصنعاً للرجال، فمنه بزغ نجم رجال يُشار لهم بالبنان، والحديث عن هذا البيت هو حديث عن الأصالة والعراقة، حديث يحمل عبق الذكريات بحلوها ومرها، بيت أنار عتمة عنبتا، وامتلك أصحابه ناصية البيان، وأمسكوا بزمام الدين، فمنه انطلق صوت الشعر، وفيه ترسخت قواعد الدين، إنه بيت يمثل الموروث الديني والثقافي والتاريخي والتراثي والوطني.

أحب الشيخ محمود بيته، ورأى سعادته بهذا البيت الذي رباه فيه والده الشيخ عبد الحليم الثاني، كما هو ربّي ونشأ فيه أبناءه البررة الذين أصبحوا من صفوة رجال عنبتا.

بيت الشيخ محمود مستودع للذكريات وملء بالحكايات، وكم كان يضح بضحكات الكبار والصغار، هو بيت كبير بالنسبة لبيوت ذلك الزمان، فهو يتألف

من طابقين، الداخل إلى الطابق الأول يجد غرفة أشبه بحوش صغير، ثم يدخل إلى غرفة واسعة مفروشة جوانبها بفرشات أرضية، تتناثر عليها المساند والوسائد، وفي أحد الجدران نافذة عريضة تتكدر عليها مجموعة من الكتب الدينية والادبية والمصاحف الشريفة. يتوسط الغرفة شتاءً كانون النار النحاسي، وحوله صينية اصطفت عليها كاسات الشاي وفناجين القهوة، وفي زاوية من زوايا الغرفة يتربع زير الماء شامخاً.

ويتكرر سؤال الشيخ محمود مداعباً ضيوفه: لماذا سمي الزير زيراً؟ فلا أحد يجيب، فيقول لهم: سُمي الزير زيراً لكثرة الزائرين له طلباً للماء.

يدخل الضيف إلى الغرفة، فيخلع حذاءه، ويضعه جانباً، ثم يأخذ مكانه على الأرض، وأينما يجلس يشعر بدفع المكان ونظافته وطيبة أصحابه.

هنا يستقبل الشيخ محمود ضيوفه- وما أكثرهم من
عنبنا وخارجها- بوجه بشوش، وبكل وفاء وتواضع،
يسلم بحرارة ويرحب بسرور، وبلا تكلف ولا نفاق، ولا
تخلو جلساته من نكات بارعة وضحكات عالية، وهذه
المزايا يجبر الآخرين على محبته واحترامه.

هنا يرحب الشيخ محمود بصديقه الشيخ إبراهيم
السمارة ^(١) من أعيان مدينة طولكرم، القادم على
حماره في يوم اشتد حره، فيدخل البيت وهو يتصبب
عرقاً، فيفاجأ ببرودة الجو داخل البيت، فيرتاح،
ويقول للشيخ: ما أبرد جو هذه الغرفة!، فيرد عليه
الشيخ محمود: إن جو الغرفة حار، ولكني دعوت الله
وقلت: (يا دار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم)،
فاستجاب الله لدعائي، وهنا يضحك إبراهيم من
أعماق قلبه قائلاً للشيخ محمود: دمت لنا يا شيخ لتظل

(١) من أعيان قضاء بني صعب الذين اختيروا لإدارة شؤون المنطقة مع الشيخ محمود

تُسعدنا بنوادرك وطرائفك وخفة دمك وسرعة
خاطرک.

أما الغرف الأخرى فهي في الطابق العلوي، يُصعد
إليها بدرج داخلي يُفضي إلى ساحة سماوية، هذه
الساحة هي روح البيت، وهي المتنفس في أيام الصيف
لكل أفراد الأسرة الذين يجتمعون في سهراتهم
وتعاليلهم. وتحيط بهذه الساحة غرف أهمها الغرفة
العزیزة الغالية على قلب الشيخ محمود ... غرفة فيها
محراب، يقوم الشيخ بأداء صلواته النوافل فيها.

بيت الشيخ محمود ملئ بالخوابي: خوابي المؤونة
من جهة وهو ليس مسؤولاً عنها، وخوابي العلم من جهة
أخرى وهي التي تخصصه، من مصاحف وكتب دينية
وأدبية ودفاتر وأوراق تتكدر في كل مكان، فيرعاها
ويهتم بها.

وتمضي الأيام والأعوام، وينتقل الشيخ إلى جوار ربه عام ١٩١٩ ميلاديه، ولكن الحياة تستمر بعده ولا تتوقف، وباستمرارها رعى الإخوة الكبار إخوتهم الصغار، وكبر الصغار، وشمروا عن سواعدهم، واستقبلوا الحياة العملية فنجحوا أيما نجاح، واستطاع كل واحد من الأبناء أن يستقل في بيت جديد بناه بجهد وعرق جبينه. وكانت هذه نقطة تحول كبيرة في حياة أبناء الشيخ، إذ أسدلوا الستار عن فصل من فصول حياتهم، وفتحوا صفحة جديدة لفصل جديد عندما انتقلوا إلى بيوتهم المستقلة.

أما بيت والدهم القديم فقد اتفقوا جميعاً على بيعه عام ١٩٣٦ لجار لهم من آل أبو هذبة، وهنا بدأت رحلة البيت مع الاغتراب، فأصحابه الأصليون باعوه وغادروا إلى بيوتهم الجديدة، وأصحابه الجدد تركوه وغادروا إلى عمان، وظل البيت مهجوراً من عام ١٩٤٦

إلى عام ٢٠٠٥، وقامت بلدية عنبتا^(١) بشراء البيت لتتخذه مركزاً ثقافياً يحمل اسم مركز عبد الرحيم محمود الثقافي.



(١) حصل هذا في زمن رئيس البلدية حمد الله حمد الله

مركز عبدالرحيم محمود الثقافي

كانت لفظة كريمة تدل على تفكير صائب من بلدية
عنبتا تسجل لها بسطور من نور وفخر واعتزاز، حينما
وضعت يدها على بيت الشيخ محمود عبدالحليم والد
الشاعر عبد الرحيم محمود، وذلك بشرائه من
أصحابه الجدد بتاريخ ٢٤/٢/٢٠٠٥، لتجعل منه
معلماً مهماً من معالم عنبتا يحمل اسم (مركز
عبدالرحيم محمود الثقافي).

واختيار البلدية لهذا البيت له دلالة رمزية
ومعنوية، وهو نوع من الوفاء لشاعر حمل روحه على
راحته وألقى بها في مهاوي الردى. لقد قامت البلدية
بترميم البيت على حساب صندوق تطوير وإقراض
الهيئات المحلية بدعم الحكومة البلجيكية بالتعاون مع
وزارة الحكم المحلي. وأثناء أعمال الترميم ساقني الشوق
ودفعني حب الاستطلاع، فمشت بي قدماي لزيارة
المكان، فأنا أشعر أن بيني وبين هذا المكان ارتباطاً روحياً

عميقاً، وها أنا اليوم أحظى بزيارته بعد أن أخذ العمر
مني حقه، وبعد أن هربت الأيام مني، وما أن اقتربت من
البوابة وحدّقت فيها شعرت بأنها تعتب على الذين
راحوا وتركوها مغلقة. لقد انتابني مشاعر مختلطة من
الرغبة والذهول والخشوع والتأمل. هنا أطلت الوقوف
على البوابة وتذكرت قول أمير الشعراء أحمد شوقي
حينما زار دمشق عام ١٩٢٥، وقال قصيدته المشهورة
التي منها هذا البيت:

مررت بالمسجد المحزون أسأله

هل في المصلى أو المحراب مروان

وأنا قلت:

مررت بالمنزل المهجور أسأله

هل في الحضور وبين الناس محمود

ثم تذكرت قول شاعر آخر:

يا طارق الباب رفقا حين تطرقه

فإنه لم يعد في الدار أصحاب

تفرقوا في دروب الأرض وانتشروا

كأنه لم يكن أهل وأحباب

وتذكرت أيضاً:

يا طارق الباب رفقا حين تطرقه

لا ترج رداً فأهل الدار قد راحوا

ولترحم الدار لا توقظ مواجعها

للدور روح كما للناس أرواح

وقلت ايضاً: إن شعراء الجاهلية كانوا على حق كبير في بكائهم على الأطلال عندما كانت مطالع قصائدهم (قفا نبك).

بعد هذا الوقوف هممت بالدخول، والتقيت بالعاملين الفنيين، واطلعت على أساليب الترميم، ثم قمت بجولة في جميع مرافق البيت. كل شيء كان يسترعي إنتباهي، تأملت وتمعنت وتفحصت كل ما وقعت عليه عيناى، وقلت: هنا ولدوا، هنا ناموا، هنا أكلوا، هنا شربوا، هنا قرأوا، هنا كتبوا، هنا صعدوا، هنا نزلوا، هنا فرحوا، هنا حزنوا، هنا ضحكوا، هنا غضبوا، هنا لعبوا، هنا صلوا، هنا صاموا. وكلما خطوت خطوة إلى الأمام قلت: رحم الله أحياء كانوا هنا، وما زالت أنفاسهم تداعب جدران هذه الدار، وما زال صدى أصواتهم يروح ويحيى ويرفض الغياب.

وصلت إلى سطح الدار فوجدته ملعباً للحمام
فقلت: هنيئاً لك أيها الحمام فأنت الذي تستحق أن
تكون سيد المكان. جرّني الفضول إلى سلم يؤدي
الصعود عليه إلى طاقة مرتفعة في إحدى الغرف، ويا
للهول مما رأيته! رأيته كومة من الأوراق التي عفا عليها
الزمن، فأحضرت كرتونة ووضعت فيها كل هذه
الأوراق، وأتيت بها إلى منزلي. كانت الأوراق بالية،
والخطوط تكاد لا تُقرأ، ولكنني قرأت القليل منها، لقد
كانت كلها تحكي عن أمور دينية من آيات كريمة
وأحاديث شريفة وشروحات وفتاوى وتفسير
ومصاحف بالية. وفوجئت بوجود أعداد من مجلة
(المقتطف)، كان اسم المجلة مقروءاً لأن الغلاف من
ورق أسمك من الورق الداخلي. سرحت بذهني إلى
البعيد وقلت: إن مجلة المقتطف صدرت عام ١٨٧٦
وظلت تصدر إلى عام ١٩٤١، وهي مجلة تمثل صوت
الثقافة وخزانة العلوم والآداب، وكانت أرقى مجلة

عربية في تنوع مادتها ورصانة أبحاثها، وصاحبها يعقوب
صروف العالم اللغوي، والأديب اللبناني الذي أصدرها
في لبنان لمدة تسع سنوات، ثم انتقل بها إلى القاهرة.

بقي السؤال: هل هذه المجلة من مقتنيات الشيخ
محمود أم من مقتنيات ابنه الشاعر عبد الرحيم؟ إن
قراءة أرقام الأعداد وسنة الإصدار صعبة جداً، فهي
التي تساعدنا على الإجابة عن السؤال ولكنها ممحوة،
وكلما أمسكت بورقة سرعان ما تتحول إلى رماد وفتات،
على أي حال يكفي أن أقول: إن وجود هذه المجلة
بأعدادها الكثيرة، تدل دلالة واضحة على أن أصحاب
هذا البيت هم من أهل الأدب والعلم والثقافة، سواء
أكانت من مقتنيات الشيخ محمود أو من مقتنيات ابنه
عبد الرحيم. وبعد أن انتهى العمل في مشروع ترميم
بيت الشيخ محمود، وأصبح على جانب كبير من
التحديث والتجديد من الداخل والخارج، وبدأت عليه

لمسات الجمال بمايسر الناظرين من إضاءته بالكهرباء
وإمداده بالماء وتركيب أبواب وشبابيك جديدة وتوفير
الأثاث الجميل من خزائن ومقاعد وطاولات، قامت
بلدية عنتبا بالاستعدادات التامة لافتتاح المشروع
ومعه مشاريع أخرى، فدعت رئيس الوزراء الفلسطيني
محمد اشتية ومعه جمع من الوزراء ومحافظ طولكرم
لافتتاح هذه المشاريع بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠١٩ (١)،
بحضور عدد كبير من الضيوف وأهالي عنتبا، وذلك في
احتفال كبير أقيم في وسط البلدة، وقد ألقى هذه
القصيدة المهداة إلى روح جدي الشيخ محمود
عبدالحميد:

يا شيخنا المحمود يا علم الهدى
يا صاحب التوجيه والإرشاد
مئة من الأعوام قد مرت على
يوم الرحيل توشحت بسواد

(١) بهذا العام يكون قد مرَّ على وفاة الشيخ محمود مئة عام

كنت الإمام و كنت خير معلم
و مفسراً للفقہ و الأوراد
و الدين أنت حميته و رعيته
و كذاك كنت مجنداً للضاد
ما زال مسجدك الذي شيدته
يختال بالعمّار و الرّواد
ما زال مسجدك الذي أرّخته
يحنو على المحراب و العبّاد
صوت المؤذن فيه قد هز الفضأ
يا قوم (حي على الصلاة) ينادي
و الدار دارك للضيافة شرّعت
أبوابها لتحية الوفّاد
من كل ركن في البلاد أتوا هنا
من أجل رأي ردهم لرشاد^(١)
يا شيخنا المحمود قم وانظر إلى
وطني يدها ثقيلة الأصفاد

(١) إشارة إلى عمله مفتي منطقة بني صعب

نزت على مر الزمان جراحه
من غاصب متوحشٍ و معاد
والعُرب في شتى الحواضر نُومٌ
سارت مراكمهم بغير قياد
و القدس والهفي استباحوا تربها
وتصيح هل في العُرب من أساد
يا أيها البيت الذي فيه انبرى
عبد الرحيم^(١) لغاصب بجهاد
منه البداية للقصائد زانها
صوت على الأعداء بالمرصاد
و مضى يغذ خطاه نحو تحرر
و الروح فوق الراح مثل زناد^(٢)
تلك القصائد لو عقلنا ساعة
كانت لشعبي كالشعاع الهادي

(١) الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود نجل الشيخ محمود

(٢) إشارة إلى البيت المشهور سأحمل روعي على راحتي وألقي بها في مهاوي

الردى

يا يوم تحرير الحمى من عصبية
عيد و ربي أجمل الأعياد
يا أيها القوم الكرام تحية
من ذؤب قلبي من صميم فؤادي
ها جئت محتفلاً و كلي فرحة
فأنا أمثل جمعة الأحفاد
هذي عنبتا اليوم قد سعدت بكم
وتعطّرت بمعاشر الأجواد
أهلا بكم في دارة كان الهنا
منها يفوح بنكهة الأسياد
يا حلوة التاريخ يا دار الألى
يا دار عزٍ ساطع الأمجاد
إني أتيتك بعد عمر حافل
فيه الرقاد طغى على الأجساد
بالأمس كنتِ على المدى منسيةً
و اليوم أنت جديدة الميلاد

يا ساهرين على التراث تحية
هذا التراث هدية الأجداد
صون التراث أمانة وطنية
فاحموه من خصمٍ لئيمٍ عادي
الله بارك جهدكم و عطاءكم
والشكر موصولٌ مدى الأباد

وفي تاريخ ٢٠٢١/٧/٣ قام وفد من مدينة حيفا
يمثل (نادي حيفا الثقافي) برئاسة رئيس النادي الأديب
فؤاد نقارة والمحامي علي رافع ومعهم جمع من الشعراء
والكتاب والمحامين والصحفيين والمثقفين بزيارة بلدة
عنبتا، وقد حلّوا ضيوفاً على البلدية، وكان من برنامج
زيارتهم التعرف إلى مركز عبد الرحيم محمود الثقافي.
وقد قمتُ بشرح وافٍ لهم عن تاريخ هذا المكان، وأجبت
عن أسئلة كثيرة وجهها الإخوة والأخوات من الوفد
الزائر، وكان معظمها عن الشاعر عبد الرحيم محمود.

وفي تاريخ ٢٠٢٢/١١/١١ أقيم احتفال في المركز
بمناسبة إطلاق كتابي الجديد الذي يحمل اسم
(عبدالرحيم محمود شاهد ومشهود) حضره جمع من
الأهالي وأبناء العائلة، وفد تحدث في الاحتفال كل من
فاضل نافع رئيس البلدية وحمد الله حمد الله رئيس
البلدية السابق، ومؤيد عبد الرحيم أسعد، والشاعران
عبد الناصر صالح ومحمد علوش، وقد قدمت نسخة
من الكتاب كهدية لكل من حضر الاحتفال.



أعمال

أسندت الى أبناء العائلة

قبل عام ١٩٤٠ ميلادي

الشيخ عبد الحليم الثاني:

- معلماً في كتاتيب عنبتا بعد عام ١٨٢٥
- إماماً وخطيباً في مسجد عنبتا

الشيخ محمود عبد الحليم:

- معلماً في كتاتيب عنبتا ١٨٥٩-١٩٧٦
- معلماً في قرية الطيرة عام ١٨٨٤
- معلماً في جامع البيك ١٨٨٥-١٨٨٨
- معلماً في مدرسة عنبتا (في المسجد) ١٨٩٠-
- ١٨٩٧

- إماماً وخطيباً في مسجد عنبتا ١٨٨٨-١٩١٥
- مأذوناً في عنبتا لأكثر من عشرة أعوام

- قاضياً في محكمة بداية بني صعب في عام

١٩٠٢

- عضواً في مجلس إدارة قضاء بني صعب في عام

١٩٠٢، ١٩٠٤، ١٩٠٩

الشيخ عارف محمود عبد الحلیم:

- معلماً في كتاتيب عنبتا بعد عام ١٨٩٠

- معلماً في مدرسة عنبتا (في المسجد) حيناً وفي

المضافة حيناً آخر ١٩٠٨ - ...

- إماماً وخطيباً في مسجد عنبتا ١٩١٥-١٩٣٥

الشيخ حمزة محمود عبد الحلیم:

- معلماً في كتاتيب عنبتا

- معلماً في مدرسة عنبتا في المسجد والمضافة

١٩٠٥ - ...

- محامياً ومرافعاً في المحاكم بعد ١٩١٠

الشيخ توفيق محمود عبد الحليم:

- إماماً وخطيباً في مسجد ميثلون قضاء جنين
- مأذوناً في قرية ميثلون وعنزا وسيريس والجديدة ومسلية حتى ١٩٦٨ عام وفاته.
- عضواً من أعضاء مؤتمر اللجان القومية المنعقد في القدس بتاريخ ٧ ايار عام ١٩٣٦ عن منطقة جنين ومعه الشيخ أديب الخالدي وحسين السوقي وعلي الحاج سعد وناظم العبوشي، وقد مثّل منطقة جنين بحكم عمله وسكنه في قرية ميثلون، حيث كان إماماً وخطيباً ومأذوناً وشيخاً يشار له بالبنان. وهذا ماجاء في كتاب (القيادات والمؤسسات الفلسطينية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨) تأليف بيان نويهض الحوت صفحة ٨٨٩.

الشيخ رفيق محمود عبد الحليم:

- إماماً وخطيباً وواعظاً في مسجد صانور حيناً، وفي مسجد صير حيناً آخر وذلك في قضاء جنين ١٩٢٢-١٩٤٠
- مأذوناً في قرية صانور وقرية صير من ١٩٢٢-١٩٤٠
- عضواً من أعضاء مؤتمر علماء فلسطين الأول في ٢٦ كانون الثاني عام ١٩٣٥ حسب ما جاء في كتاب (القيادات والمؤسسات الفلسطينية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨ تأليف بيان نويهض الحوت ص ٨٨١).
- عاد إلى عنبتا صيف ١٩٤١ وتسلم إماماً وخطيباً في مسجد عنبتا بعد أن توفي الشيخ محمد أسعد عورتاني، وبقي إلى منتصف الستينيات حيث تسلم بعده الشيخ عبد الفتاح أبو عيشه

- تسلم المأذونية في عنبتا من الاستاذ أمين
عورتاني بتاريخ ١٩٥٢/٢/٣ وبقي فيها الى
١٩٦٩/٥/١٥

- مختاراً للبلدة عنبتا عام ١٩٥٢ بعد وفاة المختار
ذيب ابوريا، وظل مختاراً حتى سنة ١٩٥٨ حيث
سلمها لمحمد ذيب ابوريا

حيدر سعيد:

- معلماً ثم مديراً في عدة مدارس آخرها مدرسة
قاقون

فائق عارف:

- معلماً ثم مديراً في عدة مدارس أهمها مدسة
سمخ

عبد الرحيم محمود:

- معلماً للغة العربية في مدرسة النجاح بنابلس
عام ١٩٣٣

عبدالرؤوف حمزة:

- مديراً في مدرسة دير جرير قضاء رام الله عام ١٩٣٢، وفي قرية المالحه قرب القدس في أواخر الأربعينات

كامل محمود:

- موظف في دائرة البرق والبريد والهاتف
- عبد الحليم محمود:

- موظف في دائرة البرق والبريد والهاتف
- عبدالكريم محمود:

- موظف في دائرة البرق والبريد والهاتف
- نجيب محمود:

- موظف في دائرة البرق والبريد والهاتف

الشعر في العائلة

اجتمع الشعر في بعض أبناء عائلتنا، وانحدر اليها هذا الميراث الأدبي الرفيع من جدنا الشيخ محمود عبد الحليم الشاعر والفقيه والمفتي والقاضي. ولا أروح بعيداً إذا قلت قد يكون الانحدار من والد الشيخ محمود (عبد الحليم الثاني) أو أحد اجداده مثل الشيخ (عبد الحليم الاول) بن الشيخ محمد العنبتاوي الذي ورد ذكره عام ١٤٩٩ ميلادي كأحد طلبة العلم الشرعي في مدرسة شيخ الإسلام ابن قدامه في صالحة دمشق^(١)، فلعله ولعل غيره كان شاعراً، ولكن لم يصلنا شيء من أشعارهم لأنها ضاعت في دروب السنين. ولا غرابة في ذلك فكلهم فقهاء، والفقهاء قريبون من بوابة الشعر.

(١) عنبتاوي في العصرين المملوكي والعثماني/ بهاء محمد نصار ص ٨٢

وقد نبتت من نخلة الشيخ محمود نبتة شاعرية
فذة اسمها عبدالرحيم محمود^(١)، الذي ذاع صيته في
الآفاق، ثم بعد سنوات جاء الأحفاد ليحملوا راية
الشعر، فظهرت فسائل جديدة: فسيلة اسمها أديب
رفيق محمود (ابو البهاء)^(٢) من مواليد ١٩٣٣، وهو
صاحب دواوين ومؤلفات وعضو في اتحاد الأدباء
والكتاب الفلسطينيين. وفسيلة ثانية اسمها معروف
رفيق محمود (أبو طراد)^(٣) من مواليد ١٩٣٥، وهو
شاعر مشهور على مستوى دولة قطر، وصاحب عدد
من الدواوين. وفسيلة ثالثة اسمها طارق عبد الكريم
محمود، من مواليد ١٩٤٢، له ديوانان وخمسة
مؤلفات وعضو في اتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين.
وهناك فسيلة ناشئة اسمها أمجد عمر نجيب عبد
الحليم، أتمنى لهذه الفسيلة أن تنمو حتى تصبح نخلة

(١) عبدالرحيم محمود استشهد في معركة الشجرة في ١٣/٧/١٩٤٨

(٢) توفي بتاريخ ٧/١٠/٢٠٢١

(٣) توفي بتاريخ ٩/٥/٢٠٠٥

كبيرة. ولا أنسى برهان رفيق محمود وهو شاعر مُقل.
وفي هذا المجال أسمح لدائرة الكلام أن تتسع فأقول:
لقد كان بيني وبين ابن عمي الشاعر معروف رفيق
محمود (ابوطراد) المقيم في دولة قطر مراسلات أدبية
جميله جداً على شكل قصائد متبادلة سماها معروف
(قصائد مسافرة). وقد كانت البداية عام ١٩٩٠ عندما
أرسل لي هدية وهي كتيّب يحمل اسم (صرخة مسلم
على مشارف القرن الخامس عشر الهجري)، والكتيّب
يحوي قصيدة واحدة من مئة بيت مطلعها:

يا من قدومك زانه استبشار

هل في ركابك للورى أخبار

يا من تطل على الأنام مذكراً

فلرب ينفع غافلاً تذكّار

قرن أطلّ فحبذا إطلاله

بالنور جاء وحبذا الأنوار

أبديت له إعجابي بالقصيدة، ورددت عليه
بقصيدة من أربعين بيتاً تحمل نفس الوزن والقافية،
وهذا مطلعها^(١):

يا من قصيدك بلسمٌ ومنازُ
مِنْ ذوب قلبي الحب والإكبارُ
الشعر بحر في العذوبة زاهر
وأبوطراد فوقه البحار
أعجب معروف بقصيدتي، ورد عليّ بقصيدة
منها هذه الأبيات وعلى نفس الوزن والقافية:
بيني وبينك أبحرُ وقفارُ
لكن تقرب بيننا الأفكارُ
لأبي طريف صغت بعض مشاعري
وهو الذي يهفو له السُّمار

(١) ديوان عندما تخلق الكلمات- طارق عبد الكريم محمود صفحه ١٠٦

عمرت قصيدته القلوب حلاوةً
رغم النوى وتفتحت أزهار
والشعر في الفقهاء فيض سليقةٍ
طبع تأصل ما عليه غبار
من عهد جدي الشيخ محمود جرى
كالسلسيل جرت به أنهار
من بعده عبد الرحيم مجلياً
فهو الشهيد الشاعر المغوار
وسمّيه عبد الرحيم^(١) إذا روى
شعر الشهيد فصدره ذخّار
وإذا ذكرت فلست أنسى صنوه
عبدالرؤوف^(٢) فشعره نوّار

(١) الأستاذ عبد الرحيم أسعد (ابو الوائق) ابن العائلة تعاوى مع الشعر ولم يواصل.

(٢) الأستاذ عبد الرؤوف حمزة محمود ابن العائلة تعاوى مع الشعر ولم يواصل.

واذكر أديباً^(١) ثم ثنّ بنافع^(٢)

وكذا الجمال^(٣) فشعره موار

واترك مساحات لجيل صاعد

لا شك فهم شاعر يُختار

فأبو طريف^(٤) سوف يسعفُ ذاكرًا

من قد جهلت فإنه المختار

و بعد كل هذا الاستعراض أتساءل: هل الشعر في عائلتنا إرث أو موهبة؟ قد يقول البعض إن الشعر إرث ورثه الشاعر عن آبائه وأجداده، كما يرث الأشياء المادية كالمال والعقار، ويقول آخرون: إن الشعر موهبة وملكة من الله.

(١) الأستاذ أديب رفيق محمود ابن العائلة شاعر مشهور .

(٢) الأستاذ نافع ابراهيم سعيد ابن العائلة تعاظم مع الشعر ولم يواصل.

(٣) الأستاذ جمال الشيخ توفيق محمود ابن العائلة تعاظم مع الشعر ولم يواصل.

(٤) أبو طريف هو طارق عبد الكريم محمود

إذا وقفت أنا أمام هاتين المقولتين، فإني أعطي نصيباً من الصواب للمقولة الأولى لأن الوراثة تؤثر بشكل مباشر على الجينات، وأؤمن بأن الفروع تتأثر بالأصول، وقالوا قديما الوراثة تلون الشخصية. وكذلك أعطي نصيباً من الصواب للمقولة الثانية، بمعنى أنه يمكن أن يكون الشعر موهبة ومقدرة يتمتع بها أصحابها. وإذا اجتمعت الوراثة مع الموهبة فإنهما يصنعان شاعراً مبدعاً، وبالتالي يظل الشعر إحساساً ومشاعر خاصة بصاحبها، ويكون الشاعر متأثراً بالمحيط الاجتماعي والبيئي والمعاناة الذاتية، ولديه القدرة على صياغة التعبيرات الجميلة.

وأعود للتعليق على المقولة الأولى فأقول: إن جينات الشعر ظهرت في عائلتنا كما ظهرت في عائلات فلسطينية أخرى، فعائلة الكرمي في طولكرم ظهر فيها الشيخ سعيد الكرمي وأبناؤه عبد الكريم الكرمي

(ابوسلمى)، ومحمود الكرمي، وأحمد شاعر الكرمي
وحسن الكرمي. ولنذهب إلى آل طوقان في نابلس، فقد
ظهر فيها الشاعر الكبير إبراهيم طوقان وشقيقته فدوى
طوقان، وشقيقه أحمد طوقان وابنه فواز أحمد
طوقان.

وكذلك هناك عائلة الكيلاني^(١) التي ظهر فيها
الشاعر سيف الدين الكيلاني، وإبراهيم زيد الكيلاني
وحسني زيد الكيلاني ومحمد طاهر الكيلاني وعلي فهميم
الكيلاني. وفي منطقة رام الله ظهرت عائلة البرغوثي^(٢)
ومنها: عبد اللطيف البرغوثي ومريد البرغوثي وحسين
البرغوثي وبشير البرغوثي وتميم البرغوثي.

(١) شعراء آل الكيلاني تأليف يوسف الدقس

(٢) من الانترنت

وإذا ذهبنا إلى لبنان نجد عائلة معلوف^(١) ومنها:
فوزي معلوف وشفيق معلوف ورياض معلوف وميشال
معلوف. وفي لبنان أيضاً عائلة اليازجي^(٢) ومنها: ناصيف
اليازجي وحبیب اليازجي وإبراهيم اليازجي ووردة اليازجي
وعبدالله اليازجي.

وفي مصر ظهر أحمد تيمور^(٣) وشقيقته عائشة
التيمورية وولده محمد تيمور ومحمود تيمور، وإذا
تبحرنا أكثر لوجدنا هذا الكلام تندسحب عليه حالات
كثيرة في مختلف عصور الأدب العربي.

(١) الشعر العربي في المهجر/ محمد عبد الغني حسن

(٢) الجامع في تاريخ الأدب العربي/ حنا فاخوري

(٣) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي/ أنيس المقدسي

الأحفاد

يواصلون مسيرة

جدهم الأدبية

قصيدة الشاعر

معروف رفيق محمود، ١٩٥٩

إلى روح الشاعر الشهيد أستاذ القلم والسيف
عبدالرحيم محمود^(١) وهو قائل البيت الأول من
القصيدة:

(سأحمل روعي على راحتي

وألقي بها في مهاوي الردى)

تهادى يصول مُرَّ الردى

فأردى أعاديه واستشهدا

على ثغره بسمه كالصباح

ومن دمه قَبَسٌ قد بدا

(١) الشهيد عبد الرحيم محمود - أشهر من أن يعرفَ، هو عمّ الشاعر معروف،
واستشهد في معركة (الشجرة) شمال فلسطين، وقد نُظِمت القصيدة في الذكرى
الحادية عشرة لاستشهاده ١٣/٧/١٩٤٨.

دَعَتْهُ فَلَسْطِينُ أَنْتَ الْفَتَى

وَإِنِّي أَنَا الْأُمُّ، لَبِّ النَّدَا

فَعَادَ إِلَيْهَا بِنَفْسِ الشَّجَاعِ

وَأَسْمَعَهَا مَدْفَعاً غَرْدَا

عَلَى جَانِبَيْهِ صَنُوفُ السَّلَاحِ

وَهَامَتْهُ تَسْتَفْزُ الْعِدَا

وَفِي الْقَلْبِ حَقْدٌ يُذِيبُ الْحَدِيدَ

وَيَسْقِي الْأَعَادِي صَنُوفَ الرَّدَى

وَمِهْنَتُفُ إِنِّي نَذَرْتُ دَمِي

وَفِي غَيْرِ أَرْضِي حَيَاتِي سُدى

فَرَنْ الْهَتَافُ بِهِامِ الدَّرَا

وَطَافَ عَلَى (الْقُدْسِ) مِنْهُ صَدَى

ومرَّ على (المهْدِ) يُقْري السَّلامَ

وحياً (المشارَفَ) و (المسجداً)

وطالعهُ الأفقُ في ظُلْمَةٍ

وصحْنُ السَّماءِ بدأ أُرْبدا

وصعدَ لله آهاتِه

وقال :إليك أمدُّ اليَدَا

أعني على الظَّلم والظالمينَ

وكنْ لي النصيرَ على من عدا

وفي موهنِ راحِ مثلَ اللَّظَى

عليهم فكانَ الفتى الأصبدا

فلعلَّعَ رشَّاشُهُ غاضباً

ووقعَ في اللَّيلِ لحنَ الفِدا

وفي الفجرِ كانَ سنِّي الجبين

وسالَ النجيعُ ينيُرُ المدى

وخلدَ للناسِ أنشودةً

تعيشُ بلادي وَيَفْنَى العدا

مدينة وشاعر^(١)

الشاعر أديب رفيق محمود ١٩٨٢

الى روح عمه الشاعر عبدالرحيم محمود

كيف انفردتِ به يا زينة المدُن؟

يا قلعةً من قلاعِ المجدِ لم تهْنِ

يا ديمةً جاوَزَتْ فيضَ البحورِ ندى

وما أضاعتُ صنيعاً سرّاً بالمننِ

يا دوحةً شارفتُ مسرى النجومِ صدئ

وظللتُ كلَّ مطرودٍ من الوطنِ

(١) المدينة هي مدينة الناصرة

لم تزجري الطير يوماً شاقهً ثمرٌ

على فروعك أو طفلاً عن اللّبن

من صدرك الحرّ يا أمّاً عرفتُ بها

معنى الأمومة مبروءاً من الدّرن

درجت في الحبّ مذ كان الزمانُ فتى

يحبو على الشّوك مطوياً على الدّخن

بريئة الوجه يا من كنتِ ناصرةً

لكلّ عانٍ زكي القلبِ ذي فِطن

سليمةً النهج يا من كنتِ خاصرةً

تحمين كلّ صديق الريح والسفن

لَأَنْتِ أَنْتِ الَّتِي غَنَّتْ عَلَى قَمَمِ

لَهَا النُّسُورُ نَشِيداً شَدَّ مِنْ وَهْنِي

مَسَاءً إِذْ زَارَهَا فِي صُبْحِهَا بَطْلٌ

فِي سَمْتِهِ الْبَرْقُ وَالْفُولاذُ فِي اللَّسَنِ

أَخُو نِضَالٍ يَرَى فِي كُلِّ مَعْتَرِكِ

عِيداً يَخْلَصُ فِيهِ الْعَبْدُ مِنْ جُبْنِ

اللَّيْلِ وَالْخَيْلُ وَالْبِيدَاءُ تَعْرِفُنِي

وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقُرْطَاسُ يَعْرِفُنِي

مَا قَالَهَا عِبْثاً فَحُلُ الْفُحُولِ وَمَنْ

كَانَتْ لَهُ حَلْبُ الشَّهْبَاءِ كَالرَّكْنِ

لَعَلَّهُ قَالَهَا يَعْنِيكَ مَكْتَشِفًا

عَبَرَ الْعُصُورِ زَمَانًا غَيْرَ ذِي الزَّمَنِ

نَبِوءَةً مِنْكُمَا كَالْبَرْقِ سَاطِعَةً

تَغْرِي الشُّكُوكَ بِصَدَقِ الْقَوْلِ لَا الظَّنِّ

وَقُوَّةً فَيَكُمَا بَلْ عَزْمَةً لَكُمَا

وَحِكْمَةً مِنْكُمَا فِي حَالِكِ الْمُحَنِ

إِذَا تَبَاهَتْ عَنبَتَا مَرَّةً عَجَبًا

فَيَمْنُ تَتَوَجَّعُ فَخْرًا رَأْسَهَا بِمَنْ؟

بِالشَّاعِرِ الْفَذِّ مَنْ لَأَسْمِهِ رَفَعَتْ

مَلِيحُهُ الْوَجْهَ مَنْدِيلًا وَمِنْ وَسَنِ

قامتْ تُشاطرُ فجر الصَّبحِ روعته

حسناءٌ قد صرختْ يوماً ويا حزني

ميلي بسيفٍ على التَّجار منْ عربٍ

منْ كلِّ رخوٍ بسقطِ القولِ يرْجُمُني

إني طريدٌ طريدٌ راحلٌ أبداً

إني وحيدٌ وحيدٌ منْ سيؤنسُني

إني شريدٌ شريدٌ فوقَ راحلتي

أستنطقُ النّجمَ هلْ أسري إلى عدنٍ

أم الشام؟ أم الأردن؟ أم جزرٍ

عبر المحيطِ؟ أم الصحراءِ تقبلُني؟

عبدَ الرحيم أجبني ما بساحتنا
إلا الذبابُ وموسيقاه تُزعجني

عبدَ الرحيم أجبني ما بساحتنا
إلا الكلابُ عن البترول تنبُحني

عبدَ الرحيم أجبني ما بساحتنا
إلا الذئبُ رَضِعَنَ الغدرَ من (زيون)^(١)

قد جثتُ أقرأ في ذكراك ملحمةً
وأنحني مُنْشِداً قد عشتَ يا وطني

(١) صهيون

إلى روح عمي أبي الطيّب
طارق عبدالكريم محمود في حفل الناصرة
١٩٨٦

أيها الرّاقدُ في أرضِ الجدودِ
قمْ وحيّ الرّكبِ منْ أهلِ الصّمودِ
قمْ وحيّ الأهلَ ها هم جدّدوا
عهدهم في الحبِّ في عهدٍ جديدِ
جنّتُ باسم الأهلِ والصّحبِ معاً
انثُرْ الوردَ وأهديكِ قصيدي
يا أبا الطيّب ما أنت سوى
صورةِ المغوارِ والنّذبِ العنيدِ

لم تكنْ للموتِ هيَّاباً وما
كانَ في طَبْعِكَ من طَبْعِ العبيد
وبعثتَ العِزْمَ في أبنائنا
وغرستَ البأسَ في قلبِ الجنود
كمْ طريدٍ حائرٍ كنتَ لهُ
مشعلَ التنويرِ غوثاً للطريد
ومهاوي الموتِ كمْ عانقَها
بثباتِ الجأشِ والقلبِ الحديدي
بوركتُ روحُكَ إذْ أَلقيتَها
مِنْ على الرَّاحَةِ تدوي كالرعود

جُرْحَكَ الطَّاهِرُ مَا زِلْتُ أَرَى

بِشْمُوحٍ نَازِفًا عِنْدَ الْوَرِيدِ

جُدْتَ بِالنَّفْسِ وَمَا جُدْتَ بِهِ

كَانَ عُنْوَانُ الْوَفَا أَرْفَعَ جُودِ

كَلَّ مَعْنَى فِيهِ لِلْمَجْدِ عَلَا

مَنْكَ اسْتَوْحِيهِ يَا أَعْلَى شَهِيدِ

أَيُّهَا الْقَائِدُ كَمْ مِنْ مَوْقِعٍ

خُضَّتَهُ بِالْعَزِّ مَفْتُولَ الزُّنُودِ

ذَكِّرْنَا يَا رَوَّابِي وَاشْهَدِي

وَارَوْ عَنْهُ يَا سَهُولِي يَا نَجُودِي

تلك (رأسُ العين) تروي قصّةً

في البطولاتِ و (بلعا) في العَديد

و (بيارُ العدس) كمّ فيها لقا

وهنا (الشّجرةُ) صاحتْ يا شهيدِ

نم قريّرَ العينِ في (ناصرِة)

حوْلَكَ الأجراسُ تشدو بالنّشيدِ

أيّها الفارسُ أطربْ مَسْمعي

بحكايَا الموتِ في ساحِ الأسودِ

قمّ وحدّثنا وفصّلْ خبراً

وارو سرّ الغدرِ في القتلِ الشّديدِ

قُمْ وَعَلِّمْ كَيْفَ يُفْدَى وَطَنُ

بِرِّجَالٍ انْكُرُوا دَرْبَ الْقُعُودِ

قُمْ وَذُدْ عَنِ أَرْضِنَا يَا تَعَسَّنَا

ضَاعَتِ الْأَرْضُ وَعَشْنَا فِي الْقِيُودِ

أَيُّهَا الثَّائِرُ كَمْ حَذَرْتَنَا

مِنْ عَدُوِّ ظَالِمٍ طَاغٍ لِدُودِ

قُمْ وَسَائِلُ عَنِ فَلَسْطِينَ وَمَا

قَدْ تَنَبَّأَتْ لَهَا مِنْذُ عَهْدِ

يَوْمِ دَوَّتْ صَيْحَةُ أُطْلَقَتْهَا

فِي حَضُورِ الشَّعْبِ مِنْ حَوْلِ (سَعُودِ)

أَيُّهَا الشَّامُخُ يَا رُمَزَ الْفِدَا

يَا مَنَارَ الْحَقِّ لِلشَّعْبِ الشَّرِيدِ

هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي قَدَّسَتْهَا

قَدْ غَزَاهَا الْغُرُبُ مِنْ كُلِّ صَعِيدِ

وَالزَّعَامَاتُ الَّتِي حَارَبَتْهَا

لَمْ نَزَلْ مِنْهَا نَرَى شَيْئَ الْجُحُودِ

ضَاعَ أَهْلِي فِي مَتَاهَاتِ الدُّنَا

مِذْ فَقَدْنَا خَطَّةَ النَّهْجِ السَّدِيدِ

رُبَّ وَاعْبُدِ الرَّحِيمَاهُ عَلَتْ

مِنْ جُمُوعِ الْأَهْلِ مِنْ خَلْفِ الْحُدُودِ

قد أصمّت سمعَ عُرْبٍ ساهموا

في ضياع الأرضِ والحقّ التليد

أيّها العُربُ أفيقوا وارقبوا

عودة الفارس تبدو من بعيد

املأوا التّاريخ مجداً وفدى

وانفضوا العجزَ وهياً للصعود

ما أضاعَ الأهلَ والأرضَ سوى

فرقة الصّفِّ ومعسولِ الوعود

أيّها البلبُلُ كمّ أشجيتنا

برقيقِ الشّعْرِ والفنِّ الجديد

عَشْتِ عُمْراً مَرَّ كَالْوَمَضِ وَمَا

كُنْتُ يَوْماً صَاحِبَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ

لَكَ يَا عَمِّي عَشَقْتُ صُورَةً

مِنْذُ أَنْ كُنْتُ عَلَى لَيْنِ الْمُهْودِ

لَمْ أَكْجَلْ مِنْكَ جَفَنِي فَلَقَدْ

ضَاعَ مِنْكَ الْعُمْرُ فِي السَّعْيِ الْحَمِيدِ

كَلَّمَا دَمَعِي هَمِي مِنْ مُقْلَتِي

رَدَدَ الْقَلْبُ لَهُ هَلْ مِنْ مَزِيدِ

يَا ضَرْيحاً ضَمَّ أَسْمَى بَطْلٍ

مِنْ (عَنْبَتَا) قَلْعَةِ الْعَزِّ الْوَطِيدِ

مُنْبِتُ الأَبْطَالِ أَرْضِي مَنْدُ أَنْ
غَابَ حَقُّ الأَهْلِ فِي هَذَا الوجودِ
كُلُّ يَوْمٍ فِيهِ يَهْوِي بطلٌ
هُوَ عِيدٌ أَيُّ عِيدٍ أَيُّ عِيدِ
أَيُّهَا الفَارِسُ أَحْنِي هَامَتِي
لَكَ إِجْلَالاً عَلَى الذِّكْرِ المَجِيدِ
إِنَّ مَوْتاً مَتَّهَ غَاظَ العَدَى
بَيْنَ طَعْنٍ بِالقَنَا تَحْتَ البُنُودِ
وَنَضُوتَ العِيشَ ذُوداً عَنْ حِمَى
فَكَسَاكَ المَوْتُ أَثْوَابَ الخُلُودِ
فَعْدَا ذِكْرُكَ مَا بَيْنَ الوَرَى
نَغْمًا يَبْقَى مَدَى الدَّهْرِ الأَبِيدِ

من طارق عبد الكريم محمود

إلى معروف رفيق محمود

١٩٩٠

قلتها معارضا لقصيدة ابن العم الشاعر معروف رفيق
محمود "أبو طراد" "صرخة مسلم على مشارف القرن
الخامس عشر الهجري" والتي مطلعها:

يا من قدومك زانه استبشار

هل في ركابك للورى أخبار

يا من تطل على الأنام مذكراً

فلرب ينفع غافلاً تذكار

قرن أطلّ فحبذا إطلاله

بالنور جاء وحبذا الأنوار

حقّت بموكبه الهداية والسّنا

وعلى الجوانب فتح النوار

القصيدة:

يا مَنْ قَصِيدُكَ بِلِسْمٍ وَمَنَارُ
مِنْ ذُوبِ قَلْبِي الْحُبِّ وَالْإِكْبَارُ
ذَكَرْتَنِي بِكَ مِنْ خِلَالِ قَصِيدَةٍ
وَيَلِدُ يَا مَعْرُوفُ لِي التَّذْكَارُ
الشَّعْرُ بَحْرٌ فِي الْعَذُوبَةِ زَاخِرُ
وَأَبُو طَرَادٍ فَوْقَهُ الْبَحَارُ
هَيَّجَتْ عِنْدِي خَاطِرِي وَمِشَاعِرِي
وَأَنَا الرَّقِيقُ تُثِيرُنِي الْأَشْعَارُ
إِنِّي تَلَوْتُ عَلَى الرَّفَاقِ قَصِيدَكُمْ
فَتَعَطَّرْتُ بِسَمَاعِهِ الْأَسْمَارُ

تلك القصيدةُ يا حبيبي صرخةٌ

فيها على الدينِ القويمِ تغارُ

من مسلمٍ عرفَ الطريقَ لحقه

فمشى إليه وكُلُّهُ إصرارُ

فيها عتبتَ على العروبةِ مُزقتُ

وتكاثرتُ من حولها الأخطارُ

ولقد شمتتُ من العتابِ روائحاً

هي في الحقيقةِ يا أخي إنذارُ

معروفُ إني قد رأيتُك حاملاً

قلباً كقلبي هزّه الإعصارُ

ليلاك^(١) يا ابن العم ليلاي التي

عزفت لها من خافقي الأوتار

حيي الكبير منحها ووهبتها

والحب عني البذل والإيثار

قدّر عليها أن تسيل دماؤها

ويئن جرح فاجر مدار

يا صاحبي عمّ البلاء بشعبنا

أين العروبة سيفها البتار؟

إنّ العروبة سلعة سوقية

متحكّم في بيعها الدولار

(١) إشارة إلى بيت معروف: ليلاي في قلبي وتسكن مهجتي - وأنا الملوّح والهوى غدار

نَزَلْتُ إِلَى سَوْقِ الْمَزَادِ بِعَالِمٍ
يَجْتَاحُهُ الزُّعْرَانُ وَالْأَشْرَارُ
وَاللَّهِ إِنِّي مُثْقَلٌ بِعُروْبِي
حِينَ الْهَزَائِمُ قَادَهَا الْفَجَارُ
مَعْرُوفُ يَا ابْنَ الْعَمِّ هَذِي أُمَّةٌ
هَزَأَتْ بِهَا الْأَوْغَادُ وَالْأَخْيَارُ
وَالْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ يَلْهَثُ وَاهِمًا
خَلَفَ الرُّؤْيَى يُغْرِيهِ الْإِسْتِعْمَارُ
وَالْخُلْفُ فَرَّقَنَا وَأَفْسَدَ عَيْشَنَا
وَالْخُلْفُ عِنْدَ خُصُومِنَا إِعْمَارُ^(١)

(١) إشارة إلى بيت عبيد الرحيم: والخطب مزقنا قبائل جمّة - والخطب عند

عدائنا لمأم

إِنَّا بِأَيْدِينَا جَرَحْنَا قَلْبِنَا^(١)

قَدْ قَالَهَا عَمُّ لَنَا مِغْوَارُ

وَالْيَوْمَ يَا مَعْرُوفُ تَذَكَّرُ قَوْلَهُ

شَاةٌ أَخُوهَا ظَالِمٌ جَزَارُ^(٢)

صَدَقَتْ مَقُولَاتُ طَرِيتُ لِسَمْعِهَا

مِنْ خُلْصٍ عِنْدِي هُمْ الْأَبْرَارُ

انْظُرْ لَخَارِطَةِ الْعَرُوبَةِ هَلْ تَرَى

إِلَّا السَّجُونَ تَلْفُهَا الْأَسْوَارُ

إِلَّا الْمَسَاجِدَ رَحْبَةً وَكَثِيرَةً

لَكِنْ وَيَا أَسْفَى نَأَى الزَّوَارُ

(١) الشطر الأول من بيت عمي عبدالرحيم: إِنَّا بِأَيْدِينَا جَرَحْنَا قَلْبِنَا - وَبِنَا إِلَيْنَا جَاءَتْ

الْأَلَام

(٢) إشارة إلى بيت معروف: لَكِنْ تَنَكَّبْنَا الطَّرِيقَ فَكَلْنَا - شَاةٌ أَخُوهَا ظَالِمٌ جَزَارُ

إلا المعاهد والمدارس تعتلي

ومع العلوّ أخي خَبَتْ أنوارُ

إلا المزارعَ جَنَّةً في مدّها

بركاتُها لَيْسَتْ بها آثارُ

إلا السطورَ كُتِيبَةً في سِفْرِها

مملوءةً خِزْيٍ وإِسْتِثْناؤُ

إنَّ البناءَ إذا تَداعَى ركنُهُ

لا بدَّ يوماً يا أخي ينهارُ

يا حاملاً راي القصيدِ بعزّةٍ

هذا القصيدُ هدايةٌ ومنارُ

هذا القصيدُ قِلادةٌ ماسيةٌ

في جيدٍ مَنْ عَشِقَ الحمى وفخارُ

هَيَّجَتْ قلبي في الحديثِ عنِ الألى

لَيْتَ الألى طالَتْ لَهُمْ أعمارُ

ملأوا البلادَ رجولةً وسماحةً

والعدلُ نِبراسٌ لَهُمْ و شِعَارُ

يا مَنْ دَعَوْتَ المسلمينَ لِوَحدةٍ

في صرْخةٍ صَوْتُ لها هَدَارُ

أخشى صُراخُكَ أَنْ يكونَ دَوِيُّهُ

في قاعٍ وادٍ ما بِهِ استذْكارُ^(١)

(١) إشارة إلى المثل القائل: صرخة في واد

معروفٌ جِئْتُكَ فوقَ ظَهْرِ قَصِيدَةٍ

بيدِ تُلُوحٍ مِلْؤُهَا الأزهارُ

لا لا تَقُلْ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ فَإِنِّي

يَكْفِي أَتَيْتُ وَشَاءَتِ الأقدارُ

فاقبلِ قصيدي بالمحبةِ مُفْعِماً

فعلى المحبةِ يَبْسِمُ النّوارُ

من معروف رفيق محمود إلى

طارق عبد الكريم محمود

١٩٩٠

بيني وبينك أبحر وقفار

لكن تُقَرَّبُ بيننا الأفكارُ

فَلَرَبَّ "صرخةٍ مسلمٍ" قد أَسْمَعَتْ

رغم النوى - قلباً به استشعارُ

طَرَقَتْ على بُعْدِ جوانِحِ (طارق)

فإذا الشعورُ تهزّه الأشعارُ

وتفاعَلَتْ كُلُّ المشاعرِ وانبرتْ

في صرخةٍ أخرى لها آثارُ

والشعرُ إنْ لم يَسْتَتِرْ مكنوننا

يمضي إلى النسيان، فهو نثارُ

عشرٌ من السنوات مرّت - بَعْدَهَا -

تمضي السنونُ وتنقضي الأعمارُ

أرسلتُ صرخةً مسلمٍ متألّمٍ

فلعلَّ تهَضُّ أُمّتي وُثْارُ

أملْتُ ثَمّةً أنْ تقومَ مصانعُ

ومزارعُ فيها جَنَى وثمرُ

فإذا الشجارُ على الحوارِ مُقدّمٌ

وإذا التشاحنُ سلعةً وشعارُ

وتصيحُ ليلي والرجال تطاحنُ

وسيوفهم عميتُ، فلا إبصارُ

والإخوة الأعداء لم يتغيروا

باسم الأخوة كلهم جزارُ

ونجيعُ (ليلى) فوق كل تنوفة

وعلى جديلتها الردى الخطارُ

لأبي طريف صغت بعض مشاعري

وهو الذي يهفو له السُّمارُ

عمرتُ قصيدته القلوب حلاوة

رغم النوى، وتفتحت أزهارُ

(فالدوحة) الخضراء زادت بهجةً

وعلى (عنبتا) أزهر النّوار

والشعر في الفقهاء فيضٌ سليقة

طبع "تأصل" ما عليه غبارُ

من عهد جدّي الشيخ محمود جرى

كالسلسيل جرت به أنهارُ

من بعده، عبد الرحيم مُجَلِّياً

فهو الشهيد الشاعر المغوار

وسمّيه عبدُ الرحيم إذا روى

شعرَ الشهيد فصّدره ذخّار

وإذا ذكرت .. فلست تنسى صنوه

عبدالرؤوف فشعره نوار

واذكر أديباً ثم ثن بنافع

وكذا الجمال فشعره موار

واترك مساحات لجيل صاعد

لا شك فيهم شاعر يُختار

فأبو طريف سوف يسعفُ ذاكراً

من قد جهلت فإنه المختار

من طارق عبد الكريم إلى معروف رفيق محمود

رد على الرد

القوافي الغُرر

١٩٩١

أطلت عليّ القوافي الغُرر

بها شاع دِفءُ الوفا وانتشر

أطلت قوافيك يا شاعري

فهاجت عليّ الصَّبَا مِنْ قطر

بتلك المعاني أطلت الوقوف

وملئت منها الحجى والبصر

سُررت بها مِنْ عميقِ الشعور

وأبقت بقلبي عظيم الأثر

قوافيك يا صاحبي مثل بحر

به الغوص يحلو لأعلى الدرر

وفها البيان البديع الجميل

وفها النقاء بأبهى الصور

وفها من الدرس ما يُستفاد

وفي الدرس دوماً تكون العبر

حماك الإله من النائبات

وصانك معروف من كل شر

وعشت مدى العمر يا مُلهمي

منارة خير لكل البشر

وَدُمْتُ لِأَهْلِي قِيثَارَةً

وِظَلَّ قَصِيدُكَ أَحْلَى وَتَرُ

يُسَائِلُنِي الصَّحْبُ فِي جَلْسَةِ

بِهَا الشَّعْرُ كَانَ حَدِيثَ السَّمْرِ:

لِمَاذَا مُنَحْتَمُ فَنُونَ الْقَصِيدِ؟

وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي الْبَيَانُ الْأَغْرَ؟

فَقُلْتُ :هُوَ الذَّخْرُ يَا إِخْوَتِي

وَرِثْنَاهُ عَمَّنْ بِهِمْ يُفْتَخَرُ

وَنَحْنُ عَلَى دَرَبِهِمْ سَائِرُونَ

وَنَحْنُ اقْتَدِينَا بِأَسْمَى السَّيْرِ

فجدّي له مِنْ جَمِيلِ القصِيدِ

وعمي - كما تعلمون - الأبر

وهذا ابنُ عمي (الأريبُ) الأديبُ

سليل القوافي هو المعتبرُ

وهيّا اسألوا الحاجَ معروفَ عَن

قصائدِ فيها تحدّى الخطرُ

بصوتٍ له نبراتُ الرجالِ

إذا قامَ ينشدُ في المؤتمرِ

هناكَ بدوحةِ ذاكِ الخليجِ

لقد ذاعَ ذِكرُ له واشتهرُ

وصاغَ القصيدَ بعذبِ الكلامِ

فهزَّ النفوسَ وشقَّ الحجرَ

وناجى القلوبَ بألحانهِ

ووشوشَ بالحبِّ ثغرَ الزهرِ

فقالوا: وما - الشعرُ في مذهبِ

تدينُ بهِ فنما وازدهرُ؟

فقلت: القصيدُ ربيعُ القلوبِ

فيا سَعَدَ مَنْ في الحياةِ شَعَرَ

وما الشعرُ عندي سوى رحلةٍ

بها كم يطيبُ ويحلو السَّفَرُ

بشعري أخلق فوق الذرى

لأشهد كيف الضلال انتصر

يكون تجرد من رقة

وكون علا فيه من قد غدر

أصور بالشعر أحلى الروى

وأرسم بالكلمات الفكر

ألون شعري بلون المروج

وعزف السواقي وهمس الشجر

وأنسجه من عبير الورود

وشدو الطيور ووقع المطر

وأبكي على ظالمٍ رحمةً
وأحكي حكايةً خلٍّ هجرٍ
وأُعلي لقومي بُنيانهم
وأخشى عليهم من المنحدر
فيا صحبُ قولوا، أبعَدَ الذي
عَرَضْتُ مِنَ الأمرِ يخفى الخبرُ؟
فقالوا : وأين ذواتُ الحجالِ
وحبُّ لهنّ ذكا واستعرُ؟
أما حرّك الحبُّ حُلُوَ القصيدِ؟
أجبتُ وفي النفسِ بعضُ الحذرِ:

"بناتُ الشيوخ" أثَّرنَ الشعورَ

فهنَّ لنا مثلُ حلوِ الثمرِ

(فهذي) من الزهرِ كان اسمُها

(وتلك) اسمُها من ضياءِ القمرِ

فكمْ قد أزلنَ عناءَ الحياةِ

وكمْ قد محوْنَ سحابَ الضجرِ

فهنَّ لنا مُلهِماتُ العقولِ

وهنَّ اللواتي يُرْحَنَ النظرُ

رعاهنَّ ربي لما قد بدَّلنَ

منَ الخيرِ والفضلِ نحوَ الظفرِ

فقالوا: سَعَدْنَا بهذا اللقاء

ويا لَيْتَ هذا اللقاء استمر

وَحَقًّا هو الشَّعْرُ رُوحُ الوجود

وكاشفُ مكنونه المستتر

فيا حظَّ مَنْ اسْعَفَتْهُ الحياةُ

بقَوْلِ قصيدٍ يُزيلُ الكَدَرَ

أما مِنْ سَبِيلٍ لِقَرَضِ القصيدِ؟

فقلتُ مجيباً بفكرٍ حَضَرَ:

إذا المرءَ رامَ طريقَ القصيدِ

"فلا بُدَّ أَنْ يستجيبَ القدرُ"

من معروف رفيق محمود إلى
طارق عبدالكريم محمود
رذاذ المطر.. في القوافي الغرر عام ١٩٩١

تهادت كوقع المني والمطر
فأحييت فؤاداً علاه الضجر
أعادت إليه ابتسام الزمان
وعطر الجنان، وفوح الزهر
عروس من الشعر فيها الجمال
تجلت فكانت كضوء القمر
كمال .. جلال .. وسحر ح
لال .. فيا ليت شعري أين المفر؟!

أتت من عنبتا كسرب الحمام
وحطت بقلبي فكان المقر

حمامٌ تهادى، وشوقٌ تمادى
رسولٌ من الأهلِ عندي حَضَرَ
هديلُ الحمامِ، بشيرُ السلامِ
فأهلاً لمن زارنا في قطر
من السَّهلِ يحملُ شوقَ السَّنابلِ
بَوْحَ الجداولِ، حُبَّ الشَّجَرِ
ويحملُ من شامخاتِ الجبالِ
حنينَ الدَّواليِ لعزفِ الوترِ
يُرَدِّدُ في الليلِ صوتَ العتابِ
فيمتُرُّ للصوتِ قلبُ الحَجَرِ
(عتاباً) وعُتْبَى لَشَبَابَةٍ
تَلَدُّ إلى حينِ وقتِ السَّحَرِ
لَتلكِ اللياليِ يَحِنُّ المَشُوقُ
فهلِ فُسْحَةٌ في بقايا العُمْرِ؟!

يُسَائِلُكَ الصَّحْبُ عَنْ رَحْلَةٍ
مَعَ الشَّعْرِ .. قُلْتَ :وَطَابَ السَّفَرُ
كَأَنَّكَ تَرْجَمْتَ عَنْ مَذْهَبِي
وَفَسَّرْتَ مَا بِفَوَّادِي اسْتَقَرَّ
هُوَ الشَّعْرُ عِنْدِي فَوَّادٌ يَمُورُ
وَرُوحٌ تَعَانِقُ أَسْمَى الْفِكْرِ
وَشِعْرِي عَلَى الظُّلْمِ وَالظَّالِمِينَ
إِذَا وَلَّغُوا فِي دِمَاءِ الْبَشَرِ
وَالْخَيْرَ عِنْدِي نَصِيبٌ كَبِيرٌ
لِيَعْلُو وَيَسْمُو عَلَى كُلِّ شَرٍّ
وَشِعْرِي انْتِمَاءٌ لِقَوْمِي الْكَرَامِ
بِأَخْلَاقِهِمْ دَائِمًا أَفْتَخِرُ

أريدُ لهمْ مكرُماتِ الحياةِ
وبالروحِ أفديهمو في الخطرِ
أريدهمو من بُناةِ العُلا
بعيداً عن العيشِ بين الحُقرِ
وشعري مع الناسِ إن أنصفوا
وأكره منهم عدواً غدرَ
وتؤلمني صرَخاتِ الجِيعِ
وفي الأرضِ خيرٌ يعمُّ البَشَرُ
فأين التكافلِ في الحادثاتِ
وأين التعاونِ عند الكَدَرِ

أحبُّ الطفولةَ فيما أحبُّ
عليهم أخافُ الغدَ المنتظرَ
تضييقِ الصفوفِ بأعدادهم
وعند الأجانبِ هم كالدررِ

هناك الطفولةُ في مأمِنٍ
وأهلي يقودونهم للخطر
فلا الأمهات يُعَلِّمَنَّهُم
وأباؤهم يصرفون النظر
فأين المربون من أهلنا
وأين البصيرةُ أين البَصَرُ
إلى الله أشكو ضياع الصغارِ
وأشكو إليه ازدياد الضررِ

أغني وأصرخ في أمتي
أفيقي وهُبِّي أعيدي النظر
أعدِّي بنيكِ لقرنٍ يُطلُّ
وعصرٍ يفوق امتدادَ العُصُرِ

فبين يديك الكتاب المبين
تألق في منازلات السُّور
فبالعَصْرِ أقسم ربُّ عظيم
وبالفجر أقسم ربُّ البَشَر
وأولَّ أيِّ على المصطفى
أنِ اقرأ وفيها ابتداء السَّهر
وقال (اعملوا) إثر قول اع
لَمُوا .. وقال (انظروا) وأطيلوا النُّظر
ومن بعد اقرأ تلاشى الظلام
بعلَمِ أنار الدُّنا وانتشر
وعَلَّمَ داودَ صُنْعَ الحديدِ لص
نع السُّدودِ برصِ الزُّبر
وألهم نوحاً بناء السفين
وعَلَّمه كيف صُنْعَ الدُّسُر

فأين الصناعة .. أين التطور...

ها قد رجعنا لعصر الحجر

أطارقُ عندي الكثيرُ الكثيرُ

ولومي لقومي حديثٌ عبّر

أريد لقومي ارتيادَ الصعاب

ولكنّ أكثرهم قد سَخِرَ

فشعري يحاول إيقاظهم

وشعري يحاول رسم الصُورَ

وأعلم ماذا يَعُوق المسيرةَ

لكن أسيّرُ ولا أنتظرُ

صغارُ الجياد إذا ما كَبَتْ

ستنهضُ حتماً برغم الخطرِ

أَطَارِقُ أَحْسَنْتَ عِنْدَ الْخَتَامِ
وَأَنْصَفْتَ حَقًّا ذَوَاتِ الْخُمْرِ
ذَوَاتِ الْجَمَالِ، ظَهِيرُ الرِّجَالِ
وَعَرْشُ الْجَمَالِ بِهِنِ اشْتَهَرَ
يُثْرَنَ الْخِيَالِ .. يَسْقُنَ الدَّلَالَ
وَفِي الْجَدِّ يَغْزُلُنِ ثَوْبَ الظَّفَرِ
بَنَاتُ الْمَشَايخِ ذُقْنَ الْكَفَاحَ ..
عَرَفْنَ الْجِرَاحَ .. وَذُقْنَ الْأَمْرَ
تَرْبِيَنَ فِي حَاضِنَاتِ التُّقَى
فَكَنَّ الْعَفِيفَاتِ مِنْذُ الصَّغَرِ
فَتَهُ يَا طَرِيفَ .. وَتَهُ يَا طِرَادُ..
خُذَا مِنْ كَلَامِي جَلِيَّ الْخَبَرِ

أديب رفيق محمود

في رثاء شقيقه معروف رفيق محمود ٢٠٠٥

يا دوحة المجد أنت الأهل والآل

والخير فيك على الآباد هطّال

وأنتِ أنتِ على الأيام جوهرة

وأنتِ أنتِ على الأمجاد سربال

الحصن رسمك إمّا نكبة نزلت

والحسن وسمك إمّا حنّ موال

والبذل بذلك إمّا حلّ مرتحل

والهدي هديك إمّا تاه ضلال

رصينةٌ أنتِ لكنّ كنتِ بارزةً

لما ترجّل في الميدان خيال

قلبي حزينٌ وإني صامتٌ أبداً
ودمع عيني على الأقران همَّالُ
قلبي حزينٌ وإني صامتٌ أبداً
ونبض قلبي على الخلان قوَّالُ
وكان أن غادر الدنيا أخو أملٍ
عفَّ الكريمين في الساحات جوَّالُ
دينٌ وعلمٌ هو الشَّلَّالُ منبسطاً
قولٌ وفعلٌ وفي النخوات بذَّالُ
حزمٌ وعزمٌ واتقادٌ رؤى
روحٌ وجسمٌ من الفولاذ تمثالُ
ما غاب ياقوم عنا واحدٌ رجلُ
بل غاب عنا جميل الذكر مفضالُ

أبا طراد وإني طائر غَرِدُ
تهز صوتي أحلامٌ وآمالُ
قد عشت عمرك أضعافاً مضاعفةً
ونلتَ من شرف الأشهاد ما نالوا
يا خالد الذكر كنت الأمس حاضرنَا
يا خالد الذكر أنت اليوم وصَّالُ
الله أكبرُ في معروفٍ اجتمعتُ
كل الخلال وبعض الناس صلطالُ
الله أكبرُ آياتُ معطرةً
الله أكبرُ أعمامُ وأخوالُ
كواكباً في سماء الكون دائرةً
تحت العناية إن أصغوا وإن قالوا

ما متّ ما نمت أنت اليوم في حلمٍ

تصحو الجنان على من قومُه جالوا

من مزّن جودك إني اليوم منتهلٌ

من رقد مجدك إني اليوم علّال

من شعرك الحر والجيتار صادحةٌ

تُضاء من برقه في الكون أصل

طارق عبد الكريم محمود
في رثاء
الاستاذ معروف رفيق محمود

قلتها في رثاء ابن عمي الشاعر معروف رفيق محمود
الذي انتقل إلى رحمته تعالى في دولة قطر بتاريخ
٢٠٠٥/٥/٩ وقد كان بيني وبينه مساجلات شعرية.

سامرُ الدوحة زَيْنُ الشعواء
أَنْتَ يا معروفُ يابنَ الفقهاء
يا حبيباً شَعَّ نوراً هادياً
يا وفياً فوقَ كلِّ الأوفياء
جِثْتُ أَرْثِيكَ بشعرٍ دامعٍ
أَنْتَ واللهِ حَرِيٌّ بالرِّثاءِ

في فؤادي حُرْقَةٌ مشبوبةٌ

في الحشا حُزْنٌ و نارٌ واكْتِواءٌ

هزَّني النَّعْيُ فماذا في يدي

غيرُ تسليمِ أُموري للقضاء

كنتَ لي بالأمسِ أستاذي الذي

وسَّعَ الأفقَ أمامي والفضاء

فتساجَلْنَا قصيداً يانعاً

فيه حلُّ الشِّعرِ حِسُّ الشعراء

ولذا حَقَّ لِقَلبي يَكْتوي

ولِعينيَّ تَجودا في البكاء

كَمْ تَجَرَّعْنَا الْأَسَى يَا صَاحِبِي

بِمَاسِينَا لَقَدْ فَاضَ الْإِنَاءُ

نَائِبَاتُ الدَّهْرِ قَدْ حَلَّتْ بِنَا

وَالْأَسَى جُسِدَ فِي كُلِّ فِنَاءٍ

مِنْ عَنبَتَا سَافَرَ الْحُزْنَ إِلَى

دُوْحَةِ الْمَجْدِ لَكِي يُزْجِي الْعِزَاءُ

وَاکْتَسَى الْأَهْلُ سَوَاداً حَالِكَاً

عَنْدَمَا نَعْيُكَ يَا مَعْرُوفُ جَاءَ

بُلْبُلُ الشَّعْرِ وَهَذِي أَذْمُعِي

رَمَزُ تَقْدِيرٍ وَحُبِّ وَإِخَاءٍ

ياكريمَ النَّفْسِ وَالْخُلُقِ ويا

جَامِعَ الشَّمْلِ لِكُلِّ الْأَصْدِقَاءِ

كُنْتَ لِلأَهْلِ مَلَاذاً آمناً

وَأُنَيْساً فَيْكَ حُسْنٌ وَنَقَاءٌ

كُنْتَ كَالْبَلَسَمِ لِلجُرْحِ إِذَا

سَالَ جُرْحٌ وَلَهُ كُنْتَ الشِّفَاءُ

وَلَوَاءُ الشَّعْرِ فِي عُلْيَائِهِ

ظَلَّ يَزْهُو بِكَ يَا فَخْرَ اللِّوَاءِ

صَوْتُكَ الصَّدَاحُ غَنَى لِلْجَمَى

وَحَلَا مِنْكَ صُدَاحٌ وَغِنَاءُ

إِيَّاهُ يَا ضَاذُ اذْرِفِي دَمْعاً عَلَى

شَاعِرٍ فَاضٍ بَيَاناً وَعِطَاءً

شَاعِرٍ صَاغَ الْقَوَافِي دُرّاً

زَانَهَا فِكْرٌ وَرُوحٌ وَبَهَاءٌ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ فِي صِرْخَتِهِ (١)

مِنْ عَمِيقِ الْقَلْبِ أَطْلَقْتَ النِّدَاءَ

يَوْمَ أَنْ دَبَّ بِقَوْمِي وَهَنٌ

وَاعْتَرَى الْعُرْبَ هَوَانٌ وَخُوءٌ

تَسْتَحِثُّ الرِّكْبَ كِي يَمْضِيَ إِلَى

قِمَّةِ الْمَجْدِ وَإِعْلَاءِ الْبِنَاءِ

(١) إشارة إلى ديوانه صرخة مسلم

سَلْ فِلَسْطِينَ عَنِ الْجِرْحِ الَّذِي^(١)

كَانَ مِنْ ظُلْمِ وَجُورِ الْغُرَبَاءِ

عَنْ أُنَيْنِ الْأَرْضِ فِي مِحْنَتِهَا

بَلَدِ الطُّهْرِ وَمَهْدِ الْأَنْبِيَاءِ

هِيَ لِيَلَاكَ الَّتِي غَاظَلَتْهَا

وَالَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَحْلُو الْفِدَاءُ

"وَابْتِهَالَاتٌ"^(٢) لَقَدْ أَرْسَلَتْهَا

تَطْلُبُ الْقُرْبَانَ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ

فِيكَ لِلْقُدْسِ قَصِيدٌ زَاخِرٌ^(٣)

وَعَلَى الدَّوْحَةِ مِنْكَ النُّورُ ضَاءُ

(١) إشارة إلى ديوانه فلسطين الجرح والطريق

(٢) إشارة إلى ديوانه ابتِهالات

(٣) إشارة إلى ديوانه القدس قصيدتي

شاعِرِ القُطرينِ يا أنشودةً

لِهما مِنْكَ انتِسابٌ وانتماءٌ

دُوحَتِي عيني وَقُدُسي أَخُتُها

لِهما كُلُّ الهَوَى كُلُّ الولاءِ

هكذا قُلْتَ وأُسمِعْتَ الدُّنا

مِنْ صَمِيمِ القلبِ مِنْ دُونِ رِياءِ

إِيهِ يا ابنَ العَمِّ عَجَّلْتَ الخُطا

في رَحيلٍ ما لَهُ بعدُ لِقاءِ

لَمْ تُكَجِّلْ بِالْحِمَى عَيْنِيكَ يا

عاشِقَ الأرضِ كما كُنْتَ تَشاءُ

جِئْتُ لِلدُّنْيَا عَطَاءً مُلْهِمًا
وَاسْتَرَدَّ اللَّهُ بِالرِّفْقِ الْعَطَاءَ
فَلَنْ مَتَّ فَكَمْ مِنْ أَثَرٍ
لَكَ فِي الدُّنْيَا لَهُ طَوْلُ الْبَقَاءِ
ضَمَّكَ التُّرْبُ الَّذِي يَحْنُو عَلَى
مَنْ وَفَى مِثْلَكَ فِي أَرْضِ الْوَفَاءِ
فَاسْتَرَحْ فِي الْخُلْدِ أَسْمَى غَايَةٍ
خَالِدَ الذِّكْرِ وَمَوْفُورَ الْهِنَاءِ
حَيْثُ لَا ظُلْمٌ وَلَا حِقْدٌ وَلَا
كَذِبٌ يَجْرِي بِلَوْمٍ وَمِرَاءِ
عِنْدَ رَبِّ الْخَلْقِ فَاَنْعَمَ إِنَّهُ
خَيْرُ جَارٍ تَرْتَوِي مِنْهُ الرِّضَاءُ

طارق عبد الكريم محمود
في حفل تأبين أديب رفيق محمود
٢٠٢١/١١/٢٧

نبأً حزينٌ في الصباح أتاني
شقَّ الفؤادَ وهَدَّ لي أركاني
قالوا أديبٌ ماتَ قلتُ بحسرةٍ
بأبي الهباءِ تكاملتُ أحزاني
راح الذي في الشعرِ كانَ معلمي
وجدانُهُ قد ذابَ في وجداني
راحَ الأديبُ أبو الهيا يا لهفتي
ففقدتُ فيه أحاسنَ الإخوان

كم كان يا ابن العمّ موتك مؤلماً

صعباً ثقيلاً يا عظيمَ الشان

ماذا أقولُ وقد خسرتك شاعراً

يا زينةَ الشعراءِ والفرسان

كنتَ الرفيقَ هنا هناك بندوة

فيها سموتَ بلاغةً ومعاني

وغدوتُ بعدك يا أديبُ مكبلاً

أمشي الطريقَ كضائعٍ توهان

هذي فلسطينُ الحبيبةُ ودَّعتُ

منَ كانَ يعشقُ ترَبَّها بتفاني

ها قد خلا الميدانُ مِنْ فُرسانه

فأتيتُ أبكي ساحةَ الميدان

الشعرُ بَعْدَكَ مقفّرٌ بلْ موحشٌ

والحرفُ ناحَ بِغَيْبَةِ الكَروان

كنتَ الأديبَ كواحدٍ لكنّما

مئةٌ إذا عَدَّوكَ في الميزان

أَمْضَيْتَ عُمْرَكَ شاعراً ومربياً

للجيلِ تلوَ الجيلِ كُنتَ الباني

وصَنَعْتَ مِنْ حُلُوِ القصيدِ قلائداً

مِنْ لُؤلؤٍ وزمردٍ وجُمان

تلك القصائدُ أُنِعتْ وتنوَّعتْ

كتنوع الأثمارِ في البستان

وسرتُ كما يسري النسيمُ بلطفه

مسموعةً الإيقاعِ والأوزان

هذا شعاعُك ما يزالُ له سناً

حُلُوً يشعُ بأجملِ الألوان

سيظلُّ ذِكْرُكَ في الأنامِ مُخلِّداً

(والذِّكْرُ للإنسانِ عُمرٌ ثاني)

يا صاحبَ الطبعِ الجميلِ فجَعَلْتَنِي

وجَعَلْتَ دُمْعِي في المآقي قاني

سَلِّمْ عَلَى مَعْرُوفٍ^(١) الشَّهْمِ الَّذِي

أَشْعَارُهُ مَلَأَتْ سَمَا أَوْطَانِي

قَبْلَهُ عَنِّي يَا أَدِيبُ وَقَلْ لَهُ

مَا زِلْتُ مِلءَ الْعَيْنِ وَالْأُذْهَانِ

يَا عَاشِقَ الْقُدْسِ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا

مِنْ قَهْرٍ بَاغٍ مَا تَزَالُ تَعَانِي

لَكِنْ سَتُزْهِرُ أَرْضُهَا حُرِّيَّةً

وَنَزَقُهَا بِقِصَائِدٍ وَأَغَانِي

نَمْ فِي ضَرْجِكَ مُطْمَئِنًّا رَاضِيًّا

بِجَوَارِ رَبِّ غَافِرٍ رَحْمَنِ

(١) معروف رفيق محمود شقيق أديب، شاعر مشهور في قطر، توفي عام

هذي الملائكُ رحَّبتُ في فرحةٍ

أهلاً أديبُ بجَنَّةِ الرُّضوانِ

مِنِّي السلامُ عَلَيْكَ ما طَلَعَ الضُّحَى

يا خيرةَ الأُحبابِ والخِلائِ

أنا طفلٌ فلسطيني أُمدد عمر نجيب عبد الحليم

أنا طفلٌ فلسطيني
وملء القلب أحزاني
أنا مجدٌ أنا فخرٌ
إذا قورنتُ أقراني
والعابي لها شكلٌ
عليها لونُ الحاني
ولي حلمٌ ولي هدفٌ
أحطمُ خصمي الجاني
وارفعُ رايتي أبداً
ترفرفُ فوقَ أوطاني

أنا طفلُ أنا جُرْحُ

لتعرف أين عنواني

وميلادي بيومٍ كان

بإستشهاد إخواني

وسِجْنُ أبي وضربُ أخي

وهَدَمُ بيوت جيراني

أزيرُ رصاصِهِم مازالَ

إسفيناً بأذاني

فلسطينُ ولدتُ بها

وفيها كلُّ بلداني

لها رُوحِي لكي تسمو

سأهديها كقربانٍ

سيرجُ أجلاً وطني

أعوّضُ كلَّ حرمانِي

لأحفظُ فيه ميلادي

بأمكنةٍ و أزمان

والعبُّ كلَّ أوقاتي

بلا خوفٍ وأحزان

وأنشدُ كلَّ ما يحلو

أجاري كلَّ أقراني

المصادر

١. ابراهيم عبد الرحمن سميح ومحمود سعيد
الأشقر وزهير غنايم عبد اللطيف - الانتخابات
في فلسطين في أواخر العصر العثماني.
٢. البرغوثي آل- عائله لا تعرف الانكسار من
الانتزنت.
٣. التمام بشار- بلدية نابلس في العهد العثماني
٢٠١٢
٤. التيتي حسني- بنو صعب واستيطانهم في
فلسطين
٥. تيمور أحمد- أعلام الفكر الإسلامي في العصر
الحديث القاهره ١٩٦٧
٦. الحجاي عبد الفتاح- الكواكب الدرّيه في
العقائد الاسلاميه.
٧. حسن محمد عبد الغني- الشعر العربي في
المهجر.

٨. الحوت بيان نويهض الحوت- القيادات
والمؤسسان السياسيه في فلسطين ١٩١٧ -
١٩٤٨.
٩. الخالدي أحمد سامح- اهل العلم بين مصر
وفلسطين ١٩٦٨.
١٠. الدباغ مصطفى مراد- بلادنا فلسطين بيروت
دار الطليعة.
١١. الدبعي زهير- أعلام نابلس في القرن العشرين.
١٢. الدجاني أمين حافظ- المدينتان التوأم رام الله
والبيرة وقضاؤهما.
١٣. الدقس يوسف شحادة- شعراء آل الكيلاني.
١٤. رفيق أديب- الأعمال الكاملة- شعر.
١٥. رفيق معروف- الأعمال المختارة- شعر.
١٦. سجل المحكمة الشرعية طولكرم.
١٧. سجل المحكمة الشرعية قباطية.
١٨. شوقي أحمد- ديوان الشوقيات.
١٩. طوقان فدوى- أخي ابراهيم.
٢٠. عبد الله نافع- الشاعر عبد الرحيم محمود.

٢١. عرفات نصير- نابلس مدينة الحضارات.
٢٢. عقل محمد + جواد مصاروه- طيبة بني صعب
بين الماضي والحاضر.
٢٣. العودات يعقوب- أعلام الفكر والأدب في
فلسطين ١٩٨٧.
٢٤. الفاخوري حنا- الجامع في تاريخ الأدب العربي.
٢٥. الكرمي عبدالكريم- الشيخ سعيد الكرمي
سيرته العلمية والسياسية.
٢٦. محمود طارق عبد الكريم- تلك السنين ٢٠١٤.
٢٧. محمود طارق عبد الكريم - عندما تحلق
الكلمات/شعر.
٢٨. المقدسي أنيس- الاتجاهات الأدبية في العالم
العربي الحديث.
٢٩. مناع عادل- أعلام فلسطين في أواخر العهد
العثماني.
٣٠. نجيب، أمجد عمر - ألحان الغضب.
٣١. النص إحسان- الأنساب العربية مطبوعات
مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠١.

٣٢. نصار بهاء محمد ابراهيم- عنبتا في العصر
المملوكي والعثماني.

٣٣. النمر إحسان- تاريخ جبل نابلس والبلقاء جزء
١، ٣، ٤.

٣٤. نويهض عجاج- رجال من فلسطين كما عرفتهم.
٣٥. مقابلات شخصية:

- جدتي لوالدي
- والدي وأعمامي وبخاصة عمي الشيخ رفيق
- بيت عمتي جميلة في قباطية
- الشيخ الأزهري عبدالله حنون/ عنبتا
- المحامي محمود الشيخ ياسين/ كفر اللبد
- الشيخ محمد البسطامي/ نابلس

الفهرس

المقدمة	٤
نسب الشيخ محمود	١٢
عائلة الفقهاء مشتل مشايخ	١٥
دراسة الشيخ محمود	١٧
الكتاتيب في عنبتا	١٩
الشيخ محمود معلماً	٢٦
الشيخ محمود واللغة العربية	٣٩
الشيخ محمود شاعراً	٤٢
الشيخ محمود وحساب الجمّل	٤٥
شخصية الشيخ محمود	٥٠
مع الشيخ سعيد الكرّمى	٥٣
مع الشيخ عبد الغنى اللبدي	٥٨

٦١.....	نابلس والشيخ محمود
٦٩.....	مع الشيخ عبد الفتاح الحجاوي
٧٢.....	مع الشيخ عبد الله صوفان القدومي
٧٦.....	الشيخ محمود إماماً وخطيباً وواعظاً ومأذوناً
٨٢.....	الشيخ محمود حنبلي التابعية
٨٥.....	مشايخ عنبتا وجامع البيك
٩٠.....	حياة أهل عنبتا في العصر التركي
٩٣.....	الرحلة اللبدية في عيادة مرضى طبرية
١٠٤.....	الشيخ محمود في الإدارة والقضاء
١١٠.....	بنو صعب
١١٣.....	أهل عنبتا جبروا الفقوسة
١١٦.....	توسعة مسجد عنبتا
١١٩.....	الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني
١٢٣.....	الشيخ محمود و أفقه السياسي والوطني
١٢٨.....	انتخابات أعضاء المجلس التمهيدي الثاني

المضافة وتاريخها.....	١٣٠
السفر برلك.....	١٣٧
دهاء الشيخ محمود.....	١٤٢
تعليم أبنائه.....	١٤٤
سنواته الأخيرة.....	١٤٧
أبناء الشيخ محمود.....	١٥١
لماذا اندثرت آثار الشيخ محمود.....	١٥٣
بيت الشيخ محمود.....	١٥٧
مركز عبدالرحيم محمود الثقافي.....	١٦٤
أعمال أسندت الى أبناء العائلة.....	١٧٦
الشعر في العائلة.....	١٨٢
الأحفاد يواصلون مسيرة جدهم الأدبية.....	١٩١
قصيدة الشاعر معروف رفيق محمود.....	١٩٢
مدينة وشاعر.....	١٩٦
إلى روح عمي أبي الطيّب.....	٢٠٢

٢١١.....	من طارق إلى معروف
٢٢٠.....	من معروف إلى طارق
٢٢٥.....	رد على الرد
٢٣٤.....	رذاذُ المطر
٢٤٢.....	أديب رفيق محمود في رثاء شقيقه
٢٤٦.....	طارق عبد الكريم محمود في رثاء معروف
٢٥٤.....	طارق عبد الكريم محمود في حفل تأبين أديب
٢٦٠.....	أنا طفلٌ فلسطيني
٢٦٣.....	المصادر



الشيخ محمود عبد الحليم

سيرة لن تموت

طارق عبد الكريم محمود

- من مواليد ١٩٤٢ من بلدة عنبتا.
- عمه الشاعر عبد الرحيم محمود.
- عمل معلماً للغة العربية على مدى نصف قرن في المدارس الحكومية والخاصة.
- نظم الشعر وشارك في العديد من الندوات والمهرجانات الأدبية، وأجريت معه عدة لقاءات إذاعية وتلفزيونية.
- عضو في الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين.
- صدرت له الكتب الآتية:
- (عبد الرحيم محمود بين الوفاء والذكرى) بالاشتراك مع ابن عمه الشاعر أديب رفيق محمود عام ١٩٩٠
- (كنت في الحج - من أدب الرحلات) عام ٢٠٠٨
- (عندما تحلق الكلمات-ديوان شعر) عام ٢٠١٢
- (تلك السنين-سيرة ذاتية) عام ٢٠١٤
- (عبد الرحيم محمود شاهد ومشهود) عام ٢٠٢٢
- (قتاديل من كلمات، ديوان شعر) عام ٢٠٢٥
- وهذا الكتاب، (الشيخ محمود عبد الحليم سيرة لن تموت) عام ٢٠٢٦

